أصحاب الرسول

للأطفال

الشيخ
محمود المصري
أبو عمار

صلى الله عليه وسلم

أبو بكر الصديق

مكتبة الصفا

أصحاب الرسول ﷺ

للأطفال

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٢٠٥٥/٢٠١٠

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٧ ميدان الأزهر، أمام الجامع الأزهر، القاهرة ت ٢٥١٥٧٣٢٠
١ درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ - تليفاكس ٢٥١٥٧٩٧٤

أصحاب الرسول ﷺ

للأطفال

الشيخ

محمود المصري

أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ تليفاكس ٢٥١٤٧٩١٤

بلعيد ناصيا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصة فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة الكريمة الراشدة التى تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى: ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع، يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه فى سلوكه الاجتماعى المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها فى توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن

الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم دُرة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «أصحاب الرسول ﷺ للأطفال» لفضيلة الداعية محمود المصرى.

استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فيه أصول دينهم، عن طريق القصص والحكايات.

وسترى أخى القارئ الكريم مدى السلاسة والسهولة التى تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل.

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى كافة المجالات، التى نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

* حبايبى الحلوين: لقد قدمت لكم مجموعة من القصص لكى نعرف تاريخنا الإسلامى المجيد.

فبدأت بكتاب قصص الأنبياء للأطفال ثم كتاب قصص القرآن وسيرة الرسول ﷺ وقصص الرسول ﷺ... فكان لابد أن أكتب لكم كتابًا نتعرف من خلاله على أصحاب الرسول ﷺ فكان هذا الكتاب الذى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠- ٧١).

بين أيديكم فهو كتاب كتبته لحبايبى الحلوين بأسلوب جميل وبسيط حتى تعرفوا سيرة أصحاب الرسول ﷺ الذين هم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة أصحاب الرسول ﷺ عسى الله أن يجمعنا بهم فى الفردوس الأعلى.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

عمو / محمود المصرى

أبو عمار

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن نلتقى مع أول صحابى من أصحاب الرسول ﷺ بل وأعظم صحابى من أصحاب الرسول ﷺ.

إنه رجلٌ عظيم القدر رفيع المنزلة نَصَر الرسول ﷺ يوم خذله الناس... وآمن به يوم كفر به الناس.... وصدَّقه يوم كذَّبه الناس.

إنه أفضل الصحابة بلا خلاف... ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على رجل خير منه.

إنه أول مَن آمن من الرجال على الصحيح... إنه مَن وُزن إيمانه بإيمان الأمة فرجح إيمانه.

إنه الورِع الحيى.. الحازم الرحيم التاجر الكريم... صاحب الفطرة السليمة من أدران الظلام والجاهلية.

كان شبيهًا بالرسول ﷺ.. وأنعِم به من شبَه.

* إنه الرجل الذى بذل نفسه وماله لخدمة الإسلام والمسلمين.

إنه الرجل الذى اختاره النبى ﷺ ليكون صاحبه فى أعظم حدث فى العالم كله.. ألا وهو الهجرة من مكة إلى المدينة.

إنه الرجل الذى أعاد الأمة إلى الإسلام بعد أن ارتد أكثر العرب بعد موت النبى ﷺ.

إنه الرجل الذى انتشر الإسلام فى عهده فى أكثر بقاع الأرض.

إنه أول من جمع القرآن كله فى مصحفٍ واحد.

إنه الزاهد العابد الخاشع المتواضع المجاهد الكريم.

إنه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع السيرة العطرة لهذا الصحابى الجليل.

من هنا نبدأ

وُلد أبو بكر الصِّدِّيق بعد عام الفيل بعامين فى قبيلة بمكة تُسمى (تَيم)... فهو أصغر من النبى ﷺ بعامين لأن النبى ﷺ وُلد فى عام الفيل.

وكان أبو بكر قد تربَّى على مكارم الأخلاق منذ صغره فكان حَسَن الخُلق وكان يُحسن الكتابة والقراءة وكان أعلم أهل قريش بأنساب العرب.

لم يعرف اللهو أبدًا ولم يقع فى المعاصى التى كان أكثر الناس يقعون فيها... وها هو رضي الله عنه تراه قد حرَّم على نفسه الخمر فى الجاهلية فلم يشربها قط لا فى الجاهلية، ولا فى الإسلام وذلك أنه مَرَّ وهو فى الجاهلية برجل سكران يضع يده فى العذرة - الغائط- يدنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صَدَف عنها، فحرَّمها أبو بكر على نفسه.

* ولم يسجد لصنمٍ قط:

وها هو يحكى بنفسه لبعض الصحابة ويقول لهم: ما سجدت لصنمٍ قط وذلك أنى لما كبرت أخذنى والدى (أبو قُحافة) إلى بيت الأصنام وقال لى: يا بُنى هذه آلهتك فاسجد لها... ثم انصرف أبى وتركنى فما كان منى إلا أن اقتربت من الصنم وقلت له: إنى جائع فأطعمنى فلم يُجبنى... فقلت له: إنى عارٍ فاكسُنى فلم يُجبنى فألقيت عليه صخرة فسقط على وجهه فانكسر... فعُدت إلى البيت وقد تيقنت أن تلك الأصنام ما هى إلا أحجار لا تنفع ولا تضر.

* وكان أبو بكر محبوبًا فى قريش لصدقه وأمانته وأخلاقه العذبة الرقيقة

فكان رجال قريش يأتونه ويألفونه ويحبونه.

* وكان أبو بكر من قبيلة ضعيفة قليلة العدد والعُدة والمال ولذلك لم يتولوا أى عمل لقريش.. وكان أبو بكر يتاجر فى ماله القليل حتى أصبح بعد ذلك من الأغنياء بفضل الله أولاً ثم بفضل صدقه وأمانته.

فكان يعطف على الفقير والمسكين واليتيم وينصر الضعفاء والمظلومين فازداد حُب الناس له يومًا بعد يومٍ حتى أصبح من أحب الناس إلى أهل قريش بعد النبى محمد ﷺ الذى كان معروفًا بأنه الصادق الأمين.

إسلامه رضي الله عنه

كان أبو بكر صديقًا للنبى ﷺ قبل البعثة فكان أبو بكر يحب النبى ﷺ حبًا جمًا وكان النبى ﷺ يبادله هذا الحب.

فقد كانا متشابهين فى الصدق والأمانة وفعل الخيرات واللين والرحمة.

وتمر الأيام وينزل الوحى على النبى ﷺ ويُبعث النبى ﷺ برسالة الإسلام ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور.

فما كان من النبى ﷺ إلا أن عرض الإسلام على زوجته خديجة فأسلمت ثم عرض الإسلام على أبى بكر فلم يتردد لحظة واحدة بل أسلم فى التو واللحظة... فهو الذى يعرف صدق النبى ﷺ وأمانته.

ولذلك لما أخبره النبى ﷺ بأن الله قد أرسله ليكون خاتم الأنبياء قال له أبو بكر: والله ما جربت عليك كذبًا قط.

وما إن أسلم أبو بكر رضي الله عنه حتى حمل أمانة الدين على أعناقه وخرج يدعو الناس إلى دين الله جل وعلا فأسلم على يديه ستة من العشرة الذين بشرهم النبى ﷺ بالجنة فيما بعد.

فيأتى الصدِّيق رضي الله عنه يوم القيامة وهم فى ميزان حسناته.

بل وأسلم على يديه خلقٌ كثيرٌ غير هؤلاء الأطهار الأبرار.

وهكذا يجب أن يكون الداعية... يحمل همَّ الناس من حوله ويخشى عليهم من عذاب الله ويأخذ بأيديهم إلى مرضاة الله وجنته.

ومن المناقب الجميلة أن الذى لقَّب أبا بكرٍ (عتيقًا) هو الحبيب المصطفى الصادق المصدوق ﷺ.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: إنى لفى بيت رسول الله ﷺ وأصحابه فى الفناء، وبينى وبينهم الستر إذ أقبل أبو بكر فقال رسول الله ﷺ: «من سرَّه أن ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى هذا»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أبشر، فأنت عتيق الله من النار» قلت: فمن يومئذ سُمى عتيقًا[(٢)].

صبره على الإيذاء

ولما علمت قريش بإسلام أبى بكر آذوه إيذاءً شديدًا وأذاقوه من العذاب ألوانًا.

* وها هو موقف من المواقف التى تعرَّض لها أبو بكر رضي الله عنه.

ففى يوم من الأيام اجتمع أصحاب النبى ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً فألحَّ أبو بكر على النبى ﷺ فى أن يُعلنوا إسلامهم أمام قريش فقال له النبى ﷺ: يا أبا بكر إنَّا قليل.

فلم يزل أبو بكر يُلح على النبى حتى وافقه رسول الله ﷺ.

ودخل النبى ﷺ وأصحابه المسجد وقام أبو بكر فى الناس خطيبًا يدعو

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١٧٠)، والحاكم (٣/ ٦٤، رقم ٤٤٠٤) وقال: صحيح الإسناد.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٧٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٥٧٤).

الناس إلى الله جل وعلا فقام المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين فضربوهم ضربًا شديدًا. . . وكان النصيب الأكبر من الضرب لأبى بكر فقد ضربه عتبة بن ربيعة ضربًا شديدًا حتى اختفت معالم وجهه بعد أن تورَّم وانتفخ.

وجاء بنو تيم (قوم أبى بكر) وأنقذوه من قريش وحملوه حتى أدخلوه منزله وهم لا يشكُّون فى أنه قد مات فعادوا إلى قريش وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ابن ربيعة.

ثم عادوا إلى أبى بكر وحاولوا أن يكلموه لكنه كان مُغمىً عليه من شدة الضرب فما تكلم إلا آخر النهار.

فكان أول كلمة تخرج من فمه أنه قال: ما فعل رسول الله ﷺ.

فقالت له أمه: والله يا بُنى لا علم لى بصاحبك.

فقال لها أبو بكر: اذهبى إلى أم جميل فاطمة بنت الخطاب.

فاسألِيها عنه. . . فخرجت أمه وذهبت إلى فاطمة بنت الخطاب وقالت لها: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله.

فظنت فاطمة أنها جاسوسة جاءت إليها من عند قريش.

فقالت لها: لا أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت. . . قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا فدنت أم جميل وأعلنت الصياح، وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسقٍ وكفرٍ، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شىء عليك منها.

قالت: سالمٌ صالحٌ. قال: أين هو؟ قالت: فى دار ابن الأرقم.

قال: فإن لله علىّ ألا أذوق طعامًا، ولا أشرب شرابًا، حتى آتى رسول الله ﷺ.

فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل، وسكن الناس خَرجَتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ، فقبَّله، وأكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبى وأمى يا رسول الله، ليس بى بأس! إلا ما نال الفاسق من وجهى، وهذه أمى برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت[١].

* بل وفى مرة أخرى أخذت قريش تضرب النبى ﷺ ضربًا شديداً وهم يقولون له: أنت الذى جعلت الآلهة إلهًا واحداً؟ فلم يستطع أحدٌ أن يقترب من النبى ﷺ إلا أبو بكر فقد أقبل وهو يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول: «ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم».

* وها هو يرى عقبة بن أبى معيط فى فناء الكعبة قد أخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلفَّ ثوبه فى عنقه فخنقه خنقًا شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبى ﷺ، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[٢][٣].

أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا

وذات مرة يمر أبو بكر ﷺ فيجد بلالاً ﷺ يُعذَّب فى رمضاء مكة، وقد هانت عليه نفسه فى سبيل الله وهو يردد هذا النداء الخالد: أحدٌ . . . أحدٌ.

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٩- ٣٠).

(٢) سورة غافر: الآية: (٢٨).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٨٥٦) كتاب المناقب.

فيذهب أبو بكر فى التو واللحظة ويُصفِّى التجارات ويأتى بالأموال ليشترى العبيد والأرقاء ليعتقهم خشية أن يُفتنوا فى دينهم.

* وكان بلال من بين العبيد الذين اشتراهم أبو بكر وأعتقهم ابتغاء مرضاة الله جل وعلا.

لقد ذهب أبو بكر إلى أُمية بن خلف وقال له: ألا تتقى الله فى هذا المسكين؟ ألا ترحمه من هذا العذاب؟

فقال له أمية: أنت الذى أفسدته علىَّ فإن كنت تقدر أن تُنقذه فافعل....

فاشتراه أبو بكر بسبع أواقٍ من ذهب.

فقال له أمية: لو أبيت إلا أوقية واحدة لبعته لك.

فقال له أبو بكر: والله لو أبيت إلا مائة أوقية من الذهب لاشتريت منك بلالاً.

فكان عمر رضي الله عنه إذا ذُكر عنده أبو بكر قال: «أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً سيدنا»[(١)].

فقام جماعة من المنافقين وقالوا: والله لقد أعتق أبو بكرٍ بلالاً ليدٍ كانت لبلال عنده... أى أنه يردّ له معروفًا قديمًا.

فسكت أبو بكر وتولَّى الله عز وجل الدفاع عن أبى بكر فأنزل قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[(٢)].

* * *

(١) أخرجه البخارى (٣٧٥٤) المناقب.

(٢) سورة الليل: الآيات: (١٧- ٢١).

أرضى بجوار الله عز وجل

وكان إيذاء قريش للنبى ﷺ وأصحابه يزداد يومًا بعد يوم فلما رأى النبى ﷺ ذلك أشار على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فإن فيها ملكًا لا يُظلم عنده أحد.

فما كان من أبى بكر إلا أن خرج مهاجرًا إلى الحبشة حتى وصل إلى مكان اسمه (برك الغماد) فقابله رجل اسمه (ابن الدغنة) وهو سيد القارة فقال له: إلى أين أنت ذاهب يا أبا بكر.

فقال أبو بكر: لقد آذانى قومى حتى خرجت لأعبد ربى فى مكان آخر.

فقال له ابن الدغنة: لا يا أبا بكر... فإن مثلك لا ينبغى أن يُخرجه قومه فإنك تصل الرحم وتساعد المساكين والضعفاء وتُكرم الضيف وتُعين على نوائب الحق فارجع فأنت فى حمايتى وجوارى.

وأخذه ابن الدغنة وقال لقريش: إن أبا بكر لا ينبغى أن يخرج من بلده أبدًا فإنه يصل الرحم ويساعد المساكين والضعفاء ويكرم الضيف ويعين على نوائب الحق وقد جعلته فى جوارى وحمايتى.

فقالوا له: يا ابن الدغنة اجعل أبا بكر يعبد ربه فى بيته ويفعل ما يشاء ولكن لا يستعلن بذلك حتى لا يفتن نساءنا وأولادنا فيُسلموا معه.

فقال ابن الدغنة ذلك لأبى بكر فوافق فى بداية الأمر وأخذ يعبد ربه فى بيته ولا يستعلن بصلاته ولا قراءته. ثم بنى بعد ذلك مسجدًا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ فيه.... فكان الأولاد والنساء يزدحمون عليه ليشاهدوه وكان أبو بكر رجلاً رقيق القلب كثير البكاء....

فخشى أشراف قريش أن يتأثر الأولاد والنساء ببكاء أبى بكر فيُسلموا فأرسلوا إلى ابن الدغنة وقالوا له: إنَّا كنا قد امتنعنا عن إيذاء أبى بكر لأنه أصبح فى

جوارك وحمايتك وكنت قد وعدتنا أن يبقى أبو بكر فى بيته يعبد ربه سراً لكنه بنى مسجداً واستعلن بصلاته وقراءته فإما أن تنهاه عن ذلك وإما أن يرد إليك جوارك ولا يبقى فى حمايتك فإنَّا لا نحب أن نؤذيه وهو فى حمايتك.

فذهب ابن الدغنة إلى أبى بكر وقال له: يا أبا بكر... قد علمت ما تعاهدنا عليه فإما أن تعبد الله سراً وإما أن ترد إلىّ جوارى فلا تكون فى حمايتى فإنى أخشى أن تتحدث العرب أنه قد أُوذى رجل فى جوارى وحمايتى.

فقال أبو بكر: لن أعبد الله سراً بل سأعبده علانية وأرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل.

موقفه العظيم فى قصة الإسراء والمعراج

وفى ظل هذه الأحزان الشديدة التى تعرض لها النبى ﷺ كان من رحمة الله بالنبى ﷺ أن أكرمه برحلة الإسراء والمعراج لتكون تكريمًا له ﷺ، وتسلية له عما أصابه من المصائب والأحزان ليزداد يقين النبى ﷺ بنجاح دعوته وتبليغ رسالة ربه جل وعلا والنصر على أعدائه.

وفى هذه الرحلة أطلعه الله على أشياء عظيمة من ملكوته العظيم حتى امتلأ قلب النبى ﷺ بالنور والرضا والطمأنينة.

ولما عاد النبى ﷺ إلى مكة وحكى لبعض أصحابه عن تلك الرحلة وصل الخبر لكفار قريش فسخروا من النبى ﷺ وقالوا له: أتزعم أنك أُسرى بك من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرج بك إلى السماء السابعة ثم عدتَ مرة أخرى فى جزء يسير من الليل.

فقال النبى ﷺ: «نعم».

فقال أحدهم: فهل تستطيع، أن تصف لنا المسجد الأقصى؟

فـوافق النبى ﷺ على ذلك... وبـدأ يصف لهم المسـجـد لكنه لم يستطع أن يُكمل الوصف لأنه رأى المسجـد ليلاً ولم يكن قد رأى كل شيء بوضوح.... فأمر الله الملائكة فجاءت بالمسجـد الأقصى حتى وضعته أمام النبى ﷺ فأخذ النبى ﷺ ينظر إليه ويصفه لكفـار قريش وهم يتعجبون من دقة الوصف رغم أنهم يعلمون أن النبى ﷺ لم يذهب إلى هناك.

ولما سـمع المشـركون عن رحلة الإسـراء والمعـراج ذهبـوا إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه وقـالوا له: إن محمـدًا يزعم أنه أُسرى به الليلة إلى المسـجد الأقصى فى جـزء من الليل ونحن نقطع هذه المسـافة فى شهـر كامل فـماذا تقول يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: إن كان النبى ﷺ قال ذلك فقد صدق إنى لأصدقه فى خبر السماء أفلا أصدقه فى بيت المقدس.

* فلمـا رأى النبى ﷺ تكذيب كـفار قـريش له، قال لجـبريل عليـه السلام: «يا جبريل إن قومى لا يصدقونى».

فقال جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصِّدِّيق.

موقفه الخالد

فى هجرة النبى ﷺ إلى المدينة

وكان إيذاء المشركين للنبى ﷺ وأصحابه يزداد يومًا بعد يوم فلما رأى النبى ﷺ ذلك أذن لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة.

وبعد هجرة أصـحاب الرسول ﷺ أصبـحت مكة خاوية من المؤمنين ولم يبقَ إلا عددٌ قليل ممن حـبستهم قـريش وبقى أبو بكر الصديق وعلى بن

أبى طالب ورسول الله ﷺ فقد كان ينتظر الأذن من الله جل وعلا بالهجرة.

وبدأت هجرة الرسول ﷺ

وذهب النبى ﷺ إلى أبى بكر وأخبره بأن الله قد أذن له بالهجرة ففرح أبو بكر حتى بكى بكاء شديداً من شدة الفرح.

وأعدَّ أبو بكر الراحلتين وأعدَّ الزاد والماء وبدأت رحلة الهجرة التى كانت أعظم حدث فى تاريخ الإسلام والمسلمين.

وخرج النبى ﷺ من مكة ومعه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه حتى وصلا إلى غارٍ قريب من مكة.. وهو غار «ثور» فدخل أبو بكر الغار حتى يطمئن على أنه ليس فيه شىء يؤذى النبى ﷺ.

فلما دخل إلى الغار مسحه ونظفه ووجد فى جدار الغار بعض الفتحات فقام وسدَّها كلها ما عدا واحدة فما كان منه إلا أن جلس على الأرض وسدَّها بقدمه ثم نادى على الرسول ﷺ ليدخل الغار آمنًا مطمئنًا.

ودخل النبى ﷺ وأراد أن ينام ويستريح فوضع رأسه على رجل أبى بكر ونام...

وفى تلك اللحظة جاء ثعبان أو عقرب ولدغ أبا بكر ومع ذلك لم يوقظ الرسول ﷺ من نومه واشتد الألم على أبى بكر فبكى بلا صوت ونزلت دموعه على خد النبى ﷺ فاستيقظ النبى ﷺ وسأله: «ما بك يا أبا بكر؟».

قال: لُدغت يا رسول الله.

فقال النبى ﷺ: «ولماذا لم تخبرنى؟».

فقال أبو بكر: خشيت أن أوقظك وأنت بحاجة إلى النوم لكى تستريح يا رسول الله.

فقام النبى ﷺ فبصق على قدم أبى بكر فشُفيت بإذن الله ودعا له النبى ﷺ بالجنة.

* وفى هذه اللحظة كان المشركون يتتبعون آثار أقدام الرسول ﷺ وصاحبه... وبحثوا عنهما فى كل مكان حتى وصلوا إلى الغار الذى كان فيه النبى ﷺ وأبو بكر.

فنظر أبو بكر إلى أقدام المشركين فقال: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.

فقال له النبى ﷺ بكل ثقة ويقين: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[١].

* لقد حفظ الله نبيه ﷺ وأعمى أبصار المشركين عن رؤية النبى ﷺ وصاحبه رغم أنهم كانوا على بُعد أمتار قليلة منهما.

* ومكث النبى ﷺ وأبو بكر فى الغار ثلاثة أيام.

وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتى بالطعام إليهما وكانت قد شقَّت نطاقها[٢] نصفين فجعلت الطعام فى أحدهما وربطت وسطها بالآخر ولذلك سماها النبى ﷺ بذات النطاقين وقال لها: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة».

* وكان عبد الله بن أبى بكر يأتى كل ليلة ويبيت مع النبى ﷺ ومع أبى بكر فإذا أصبح الصباح عاد إلى مكة وكأنه كان فيها لم يخرج منها حتى يستمع إلى كلام المشركين وما يدبرونه للنبى ﷺ وصاحبه ثم يعود إلى الغار فى الليل ليخبر النبى ﷺ بكل ما سمعه.

* وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يخرج بالأغنام لتمسح آثار أقدامها

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٥٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) النطاق: هو حزام تربطه المرأة على وسطها.

آثار أقدام عبد الله بن أبى بكر فلا يعرف أحدٌ شيئًا عن ذهابه إلى النبى ﷺ ولا يشك أحدٌ فى أمره.

* وكان النبى ﷺ وأبو بكر قد استأجرا رجلاً كافرًا اسمه (عبد الله ابن أُريقط) ليدلهما على الطريق فقد كان ماهرًا بالطريق يحفظ طُرق الصحراء وشعابها.

وكانا قد دفعا إليه الراحلتين وواعداه أن يأتى إليهما بالراحلتين فى غار ثور بعد ثلاثة أيام.

* ولما وصل عبد الله بن أُريقط انطلق معه النبى ﷺ وأبو بكر وعامر بن فهيرة... وبدأت الرحلة إلى المدينة المنورة.

محبة تفوق الخيال

* وكان أبو بكر يسير أمام النبى ﷺ مرة وخلفه مرة وعن يمينه مرة وعن يساره مرة فتعجب النبى ﷺ وقال: **«ما لك يا أبا بكر؟»**.

فقال أبو بكر: يا رسول الله أذكر الطلب - أى الكفار الذين يطاردونك - فأمشى خلفك ثم أذكر الرَّصَد - أى الجواسيس الذين يرصدونك ويُعدون لك الكمائن - فأمشى أمامك وعن يمينك وعن شمالك فأنا أخشى عليك منهم يا رسول الله.

فقال له النبى ﷺ: «يا أبا بكر لو كان هناك أذى ينتظرنى لأحببت أن يكون بك دونى؟».

فقال أبو بكر: أجل يا رسول الله... فلئن قُتلتُ أنا فإنما أنا رجلٌ واحد.. ولئن قُتلت أنت ضاعت الأمة كلها.

* وبينما هم فى الطريق إذ أحسَّ النبى ﷺ بشىء من التعب فنظر أبو بكر حتى رأى ظل شجرة ففرش للنبى ﷺ تحت ذلك الظل ثم قال للنبى

ﷺ : اضطجع هنا يا رسول الله. . . فاضطجع النبى ﷺ .

ثم ذهب أبو بكر يبحث ويرى إذا كان هناك أحدٌ من المشركين يتبعهم فوجد راعى غنم فسأله: يا غلام هل عندك من لبن؟ قال: نعم. فأمره أبو بكر أن يحلب له بالأجر ثم أمره أن ينفض ضرعها من الغبار وأن ينفض كفيه من التراب ثم حلب اللبن وأخذه أبو بكر وانتظر حتى استيقظ النبى ﷺ فقال له: اشرب يا رسول. . فشرب. . ثم قال له: اشرب.

يقول أبو بكر: فشرب النبى ﷺ حتى ارتويت. . . يا له من حب لا يخطر على قلب بشر.

موقفه العظيم يوم بدر

لقد شهد أبو بكر ﷺ مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها وثبت معه ثباتًا لا نظير له.

ففى يوم بدر استشار رسول الله ﷺ أصحابه؛ فتكلم أبو بكر ﷺ فأجاد. . . وكانت المعركة.

يقول على ﷺ: أشجع الناس أبو بكر. . . إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يصل إليه أحدٌ من المشركين، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يقترب منه أحدٌ إلا ضربه بالسيف.

* بل لقد حدث موقف عجيب يوم بدر. . . كان عبد الرحمن بن أبى بكر مشركًا فى ذلك الوقت وكان يحارب فى صفوف المشركين وكان أبوه (أبو بكر) فى صفوف المسلمين. . . فكان كلما رأى أباه قريبًا منه ابتعد عنه خشية أن يقاتل أباه.

وتمر الأيام ويُسلم عبد الرحمن بن أبى بكر ويقول لأبيه: يا أبت لقد

رأيتك يوم بدر فكنت أبتعد عنك خشية أن أقتلك.

فقال له أبو بكر: أما أنا فلو رأيتك يومها لقتلتك.

وهذه صورة عالية من الولاء والبراء فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

بل ستعجب عندما تعلم أن الملائكة كانت تقاتل مع أبى بكر رضي الله عنه فى يوم بدر.

فقد قال النبى ﷺ لعلى وأبى بكر: «مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل... وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال» (٣).

ثباته فى باقى الغزوات والمشاهد

وثبت أبو بكر رضي الله عنه ثبوت الجبال يوم أُحد حول رسول الله ﷺ يدافع.

وبعث رسول الله ﷺ سرية إلى بنى فزارة سنة سبع للهجرة بقيادة أبى بكر رضي الله عنه فوردت الماء، وغنمت، وسَبَتْ، وعادت سالمة.

وفى غزوة تبوك ساعة العُسرة كانت راية المسلمين بيد أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٢٤).

(٢) سورة المجادلة: الآية: (٢٢).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٤٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٢٤١).

ويوم حُنين أُعجب المسلمون بكثرتهم فلم تُغنهم شيئًا، وولوا مدبرين بعد أن كمن لهم أعداء الله فى شعاب الوادى، وكان أول من ثبت حول رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه[1].

موافقته للحبيب ﷺ يوم الحديبية

وها هو الصديق رضي الله عنه فى موقف من أعظم المواقف التى كاد أصحاب النبى ﷺ أن يعترضوا فيه على بنود الصلح التى وضعها المشركون.

ولكن الصدِّيق رضي الله عنه الذى كان من أكثر الناس تشبُّهًا بالحبيب ﷺ فى تفكيره وشفافية قلبه، بل وفى كلامه ينظر إلى المواقف ببصيرة عميقة وشفافية ليست لها حدود.

ففى الوقت الذى رأى فيه الصحابة رضي الله عنهم أن شروط قريش كانت جائرة، وأن موقف المسلمين موقف ذلة كان الصدِّيق يرى هو والحبيب ﷺ أن الموقف موقف عزة وقوة.

وهنا قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه معترضًا على هذا الموقف وعلى تلك الشروط الجائرة، فقال: قلت لرسول الله ﷺ: ألست نبى الله حقًا؟!

قال: «بلى».

قلت: ألسنا على حق وعدونا على الباطل؟!.

قال: «بلى».

قلت: فَلِم نُعطى الدَّنيَّة فى ديننا إذًا؟!

قال: «إنى رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصرى».

قلت: أوَ لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟

قال: «بلى، فأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟».

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٦٩).

قلت: لا.

قال: «فإنك آتيه ومُطوَّفٌ به».

قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقًا؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟

قال: بلى.

قلت: فَلِمَ نعطى الدنية فى ديننا إذًا؟

قال: أيها الرجل، إنه رسول الله ﷺ ليس يعصى ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه (أى: اتبع قوله، وفعله، ولا تخالفه) فو الله إنه لعلى الحق.

قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟

قال: بلى أفأخبرك أنك آتيه العام؟

قلت: لا. قال: فإنك آتيه، ومطوف به[1].

فيا لها من قلوبٍ طاهرة تشابهت وتلاقت على الحُب فى الله جل وعلا.

إن من تأمل فى كلمات الصديق ﷺ لوجد أنها هى نفس الكلمات التى قالها النبى ﷺ.

فيا لها من موافقة بين تلك الأرواح الطاهرة النقية التقية الصادقة.

إسلام والد أبى بكر يوم فتح مكة

وها هى اللحظة التى كان ينتظرها أبو بكر سنواتٍ طويلة وهى اللحظة التى أسلم فيها والده ودخل فى دين الله جل وعلا.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٧٣١) كتاب الشروط - باب الشروط فى الحرب.

فإنه لما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يُمسك بيده فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه».

قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه.

قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلِم»، فأسلَم[1].

موقفه الخالد عند تجهيز جيش العُسرة

لقد كان أبو بكر دائمًا سبَّاقًا إلى الخير.

ففى غزوة تبوك دعا النبى ﷺ أصحابه لتجهيز الجيش فجاء كل رجل بما يستطيع أن يأتى به من المال... لكن أبا بكر جاء بماله كله ولم يترك لنفسه ولا لأولاده درهمًا ولا دينارًا.

* وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحكى لنا هذا الموقف.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله أن نتصدق فوافق ذلك منى مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يومًا - فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله.

قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقك إلى شىء أبدًا[2].

* ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى سبق فيها أبو بكر كل من حوله إلى فعل الخيرات... فقد خرج النبى ﷺ ذات مرة على أصحابه وقال

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٤٦)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٦٧٨) كتاب الزكاة، والترمذى (٣٦٧٥) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦٠٢١).

لهم: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟». قال أبو بكر: أنا. قال: «من تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر رضي الله عنه أنا. قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «من عاد منكم اليوم مريضًا» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة»[1].

* بل وفى يوم من الأيام رأى عمر بن الخطاب امرأة كبيرة فى السن فأراد أن يساعدها وإذا به يجد كل يوم من يسبقه إليها ويساعدها ويأتيها بالطعام والشراب فقد كانت المرأة عمياء لا تستطيع أن تخدم نفسها... فاختبأ عمر ليرى من الذى يسبقه إليها كل يوم فإذا به يرى أبا بكر خارجًا من عندها فبكى عمر وقال: والله لا أسابقك إلى خيرٍ أبدًا يا أبا بكر.

منزلة الصّديق عند النبى ﷺ

وتعالوا بنا لنعرف منزلة أبى بكر الصديق عند النبى ﷺ قبل أن نُكمل قصة الصِّديق رضي الله عنه.

* ففى يوم من الأيام حدث شىء بين أبى بكر وعمر رضي الله عنهما فأراد أبو بكر أن يعتذر لعمر فلم يقبل اعتذاره فانصرف أبو بكر ثم ندم عمر بعد ذلك وأراد أن يصالح أبا بكر فذهب إليه فى بيته فلم يجده فلقد كان أبو بكر قد ذهب إلى النبى ﷺ وحكى له ما حدث وأن عمر لم يقبل اعتذاره.

فلما جاء عمر ووجد أبا بكر عند النبى ﷺ غضب النبى ﷺ مما فعله عمر فأشفق (أبو بكر) على (عمر) وقال: يا رسول الله أنا الذى أخطأت فى حقه أنا الذى ظلمته... فنظر النبى ﷺ إلى عمر وقال له: «إن الله بعثنى إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواسانى بنفسه وماله فهل

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٢٨) كتاب فضائل الصحابة.

أنتم تاركو لى صاحبى؟ فهل أنتم تاركو لى صاحبى؟». فما أُوذى بعدها [١].

وقال رسول الله ﷺ: «إن أمنَّ الناس علىَّ فى صُحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أُخوة الإسلام ومودته لا يبقين فى المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبى بكر» [٢].

وقال النبى ﷺ: «ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها إلا الصدِّيق، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعنى مالُ أحد قط ما نفعنى مالُ أبى بكر، ولو كنت متخذًا من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله» [٣].

* بل ها هو النبى ﷺ يُبشر أبا بكر بأنه يُدعى يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية... قال ﷺ: «من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله دُعى من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الصيام، وباب الريان» فقال أبو بكر: ما على هذا الذى يُدعَى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: وهل يُدعَى منها كلها أحدٌ يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر» [٤].

وفى رواية قال: «أجل وأنت هو يا أبا بكر».

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦٦١) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٥٤) كتاب فضائل الصحابة، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٦٢) كتاب المناقب، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٨٩٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٢٧) كتاب الزكاة.

آخر أيام الحبيب ﷺ

وعاش أبو بكر أجمل أيام عمره فى رحاب الحبيب ﷺ الذى كان يحبه حبًا جمًا.

وفى يوم من الأيام خرج النبى ﷺ فى السنة العاشرة إلى حجة الوداع وكان أبو بكر فى صحبته.

ثم عاد النبى ﷺ بعدها إلى المدينة وأمر بإغلاق كل الأبواب التى تُفتح على المسجد إلا باب أبى بكر ليعرف الناس قدره ومنزلته.

* وأمر الرسول بتجهيز جيش لإنفاذه إلى أرض الروم، وجعل فيه كبار المهاجرين والأنصار، ومنهم «أبو بكر» و «عمر»، وجعل قيادته للفتى «أسامة بن زيد» - الذى لم يتم العشرين من عمره، وتم تجهيز الجيش وعسكر بالجرف (إحدى ضواحى المدينة) حتى يأتيه الإذن من الرسول بالتحرك، ولكن الرسول مرض واشتد عليه مرضه فانتظر الجيش، وقال ﷺ: «**مُروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس**». وجاء اختياره للصديق ليقوم مقامه فى الصلاة بالمسلمين لأنه ﷺ كان يعلم عمق إيمان الصديق، ومدى حب المسلمين له، فلما قال الرسول ذلك قالت «عائشة بنت أبى بكر» رضي الله عنها: إن أبى رجل رقيق لا يستطيع أن يُسمع الناس القرآن من كثرة بكائه؛.. حيث قصدت رضي الله عنها أن لا يستخلفه النبى من بعده بفهمها العميق، ولكن النبى ﷺ أصر على ذلك وقال ﷺ: «**مروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس**». فقالت السيدة «عائشة» مثلما قالت من قبل، فغضب النبى ﷺ وقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**».

وصلى «الصديق» بالناس؛ فكان أول من صلى بالمسلمين عامة فى حياة النبى ﷺ فرضى به المسلمون كما رضيه الله ورسوله[1].

---

(١) الخلفاء الراشدون/ أ. سامى عبد الرؤوف، أ. عبد الحسيب الطنانى (ص: ٩) ط. مكتبة سفير.

* وفاضت روح الرسول إلى بارئها جل وعلا.

وتسرب النبأ الفادح من البيت المحزون.

وشعر المؤمنون أن آفاق المدينة أظلمت، لا يدرون ما يفعلون.

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مُغشًّى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله وبكى، ثم قال: بأبى أنت وأمى، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كُتبت عليك فقد متَّها.

ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر.

فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر.

فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت. قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

استخلاف أبى بكر رضي الله عنه

وبعد وفاة النبى ﷺ اجتمع الصحابة فى سقيفة بنى ساعدة لاختيار خليفة رسول الله ﷺ . . . وحدث خلاف بين الصحابة إلى أن اجتمع الناس على مبايعة أبى بكر الصديق بالخلافة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية رقم (١٤٤).

وفى اليوم التالى لوفاة الرسول ﷺ صعد عمر بن الخطاب المنبر وخطب فى الناس بعد أن حمد الله وأثنى عليه بقول: «فإن يك محمد قد مات فإن الله جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به فاعتصموا به تهتدوا وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثانى اثنين إذ هما فى الغار فإنه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا إليه فبايعوه» فقام الناس فبايعوه البيعة العامة، وصعد الصدِّيق المنبر ليوضح أساس حكمه القائم على العدل والمساواة والسير على نهج الرسول، ليضع بذلك قاعدة ومنهجًا لمن يأتى بعده من الحكام الراغبين فى إقامة العدل ونشر المساواة؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إنى قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقوِّمونى.. الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه، لا يَدَعُ قومٌ الجهاد فى سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء.. أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم».

بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه

وما إن انتهى الصحابة من دفن رسول الله ﷺ ومبايعة أبى بكر رضي الله عنه حتى قام الصديق لإنفاذ جيش أسامة إلى أرض الروم تنفيذًا لوصية رسول الله ﷺ.

وكان فى ذلك الوقت قد ارتدت قبائل كثيرة من العرب عن الإسلام بعد وفاة الرسول... بل ظهر منهم من يدَّعى النبوة كالأسود العنسى ومسيلمة الكذاب... ومنهم من لم يرتد عن الإسلام لكنه أصر على منع الزكاة.

كان بعض الصحابة عندما وصلت هذه الأخبار قد اقترح على الصديق

أن يعيد جيش أسامة ولكنه رفض وقال: «والله لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ، والذى نفس أبى بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته».

وكان الصديق يهدف من مقولته تلك أن يؤكد للمسلمين أنه سائر على منهج رسول الله، وأمر الصديق باستعداد الجيش للخروج وخرج ﷺ سيراً على الأقدام ليكون فى وداع الجيش، وكان أسامة راكبًا فرسه فقال أسامة: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل فقال الصديق: والله لا تنزل ووالله لا أركب، وما علىَّ أن أُغبِّر قدمى فى سبيل الله تعالى.

واستأذن أبو بكر أسامة أن يترك له عمر بن الخطاب ليعينه ويشير عليه فى أمور المسلمين فأذن له.

ومضى أسامة بجيشه حتى وصل إلى حدود الشام فأغار على الروم؛ ففر جنودهم، وقد ملأ الرعب قلوبهم، وحقق المسلمون بقيادة أسامة بن زيد انتصاراً عظيمًا على الروم.

وكان لانتصار أسامة أثر كبير فى إرهاب المرتدين ومانعى الزكاة.

وقرر الصديق محاربتهم فاستشار الصحابة فى الأمر فأشار عليه بعضهم أن يتفاوض مع مانعى الزكاة وألا يقاتلهم، فقال له عمر بن الخطاب: علام نقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: **«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»**، فردَّ الصديق غاضبًا: «أينقص الدين وأنا حى؟» ثم قال: «والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليه، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة». فاقتنع الصحابة برأى أبى بكر، ثم قام الصديق بتجهيز أحد عشر لواء وأرسلها جميعًا فى وقت واحد لمحاربة المرتدين ومانعى الزكاة فى الجزيرة كلها.

وقد نصر الله تعالى الجيوش التى أرسلها أبو بكر لقتال المرتدين ومانعى الزكاة، وعاد كثير من هؤلاء المرتدين إلى الإسلام وحسن إسلامهم، كما هُزم مسيلمة الكذاب شر هزيمة على أيدى المسلمين وقُتل فى المعركة، وقُتل معه أكثر من واحد وعشرين ألف مرتد.

ولما استقر الأمر لأبى بكر فى الجزيرة كلها أراد أن ينشر دين الله فى الأرض، وأن يحمى الدولة الإسلامية من أخطار عدوها المتربص بها، فأرسل الجيوش إلى إمبراطورية الفرس بالحيرة (العراق)، ودارت معارك كثيرة انتصرت فيها الجيوش المسلمة على جيوش الفرس فى ذات السلاسل، والأُبلّة، واليسر، ونهر الدم، وغيرها من المواقع.

وملأت هذه الانتصارات قلب إمبراطور الروم بالرعب، فجمع قادة جيوشه ليبحث فى أمر هذه الانتصارات التى يحققها المسلمون، فقال لقادته بصوتٍ مرتجف:

إن ما فعله المسلمون لا أكاد أصدقه، هل هم العرب الحفاة العراة؟ إن انتصاراتهم على الفرس تتلاحق وهم فى طريقهم إلينا.

فقال أحد القادة:

إن هؤلاء المسلمين يُضحون بحياتهم دفاعًا عن عقيدتهم ويجب أن نتصدى لهم.

وقال آخر:

لدينا أعداد كثيرة من الجنود ومعدات وأسلحة لا طاقة للمسلمين بها ولن يجرءوا على قتالنا أبدًا.

فقال الإمبراطور:

أرى أن نحصن حدودنا، ونوفر لجنودنا العُدة والعتاد استعدادًا لحالات الحرب القصوى بقيادة القائد «باهان».

وانقضى الاجتماع ومضى قادة الروم إلى أداء المهمة التى كلفهم بها الإمبراطور.

وفى هذه الأثناء وصلت رسالة من خالد بن سعيد المرابط فى حدود الشام يطلب المدد من الخليفة أبى بكر ويخبره فيها أن جنود الروم يتحرشون بالمسلمين ويستميلون القبائل العربية القريبة منهم إلى صفوفهم.

عرض أبو بكر الصديق الأمر على الصحابة فوجدهم متحمسين للجهاد عازمين على التصدّى لتحرُّش الروم، وسارعوا إلى الانضمام إلى الجيوش التى أعدها أبو بكر لمساندة جيش خالد بن سعيد المرابط على حدود الشام، وخرجت الجيوش واحداً بعد الآخر.

وخرجت الروم بجيش عظيم يبلغ (٢٤٠) ألف جندى بقيادة القائد الأكبر «باهان» ومعه كبار القادة أمثال «تزريق» أخى إمبراطور الروم، فى حين كانت جيوش المسلمين تكاد تقترب فى عددها من ثلاثين ألف جندى، وأرسل المسلمون إلى الصدِّيق يطلبون منه المدد؛ فأرسل إلى خالد بن الوليد وطلب منه أن يتوجه بجيشه لمساعدة إخوانه فى حرب الروم فخرج خالد فى نصف الجيش تسعة آلاف جندى وترك النصف الآخر تحت قيادة المثنى بن حارثة بالعراق لاستكمال فتوح المسلمين فى بلاد فارس، وأدرك خالد إخوانه فى اليرموك وقاتل المسلمون قتالاً شديداً فاندفع جنود الروم محاولين الهرب فأتبعهم خالد بجيشه وانقضَّ عليهم، وكان وراءهم هاوية (الواقوصة) فسقطوا فيها، وظل المسلمون يلاحقونهم حتى سقط منهم يومها أكثر من مائة وعشرين ألفًا لقوا مصرعهم، وتمت هزيمة الروم، وقضت المعركة على كل أمل لهم فى استبقاء الشام تحت سيطرتهم[1].

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ١١- ١٥) بتصرف.

ونُظِّمت إدارة الدولة الإسلامية فى عهده، فجعل القضاء لعمر بن الخطاب وجعل أبا عبيدة بن الجراح أمينًا على بيت المال، وكان يكتب له زيد بن ثابت وعثمان ابن عفان ومَن حضر من الصحابة ممن يجيدون الكتابة، وروى رضي الله عنه (١٤٢) حديثًا عن رسول الله ومضى على منهج الرسول فى الحكم، فكان استكمالاً واستمرارًا لعهد النبوة.

وكان الصديق مثلاً وأسوة فى البر والرحمة لعماله على شبه الجزيرة العربية التى أصبحت بطولها وعرضها تحت الإدارة الإسلامية فى عهده رضي الله عنه فقسمها إلى ولايات، وجعل على كل ولاية أميرًا يكون له فيها إقامة الصلاة وجمع الزكاة، وإقامة الحدود والفصل فى القضايا، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ولم يتوانَ الصديق عن نصح المسلمين وتذكيرهم.

الصديق أول من جمع القرآن الكريم

ففى حروب الردة التى خاضها المسلمون ضد المرتدين قُتل عددٌ كبير من حَفَظة القرآن فرأى المسلمون وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أنه لابد من جمع القرآن فى مصحفٍ واحد.

فأشار (عمر) على (أبى بكر) بجمع القرآن.

فقال أبو بكر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ.

فقال عمر: هذا والله خير.

ودار بينهما حوار طويل حتى اقتنع أبو بكر بذلك وشرح الله صدره لهذا الأمر.

فأرسل أبو بكر لزيد بن ثابت وقال له: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه.

فقام زيد بجمع القرآن ونسخه فى صُحف ثم أعطاها لأبى بكر الصديق

فبقيت عنده حتى توفاه الله فأخذها عمر حتى توفاه الله ثم كانت عند حفصة بنت عمر إلى أن أخذها منها عثمان بن عفان لينسخها زيد بن ثابت ثم ردَّها إليها.

صور من ورعه وزهده ورقة قلبه رضي الله عنه

ولقد كان أبو بكر قمة فى الزهد والورع والخشية فها هو بعد خلافته يترك تجارته ويتفرغ لشئون المسلمين والقيام على راحتهم، فكان يجلس فى مسجد النبى ﷺ يسمع لآلام الناس ومشاكلهم ويسعى لحلّها، وكان يستشير أكابر الصحابة فى أمور المسلمين حتى يفعل كل ما يستطيع من أجل راحة المسلمين والحفاظ على دينهم ودنياهم فى وقتٍ واحد.

وكان يرى الفقراء والمساكين بنفسه سرًا وكان يشترى الثياب ويوزعها على اليتامى والأرامل فى الشتاء وكان يعيش حياة متقشفة وكان يقوم بخدمة نفسه ولا يطمع فى أى شىء من زهرة الدنيا وزينتها الفانية.

* وها هو خليفة رسول الله ﷺ كان عنده غلامٌ يأتيه كل يوم بطعامه فجاء يومًا بشىء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال أبو بكر: ما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أُحسن الكهانة، إلا أنى خدعته فأعطانى بذلك، فهذا الذى أكلت منه؟ فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شىء فى بطنه[1].

* وها هو تراه رقيق القلب كثير البكاء وبخاصة إذا كان يقرأ القرآن أو إذا ذُكر النبى ﷺ أمامه.

عن أنس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٨٤٢) كتاب مناقب الأنصار - باب أيام الجاهلية.

انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يُبكيك؟ ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكى أن أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، ولكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها (١).

ولما دنا أجل الصديق رضي الله عنه وقد أكرمه الله عز وجل بالقضاء على فتنة المرتدين وكثرت الفتوحات الإسلامية فى عهده وساق الله على يديه الخير الكثير للإسلام والمسلمين فأحسَّ أنه من الأفضل أن يستخلف رجلاً من بعده يكمل مسيرة الإصلاح ونشر الدعوة ويأخذ بأيدى الناس إلى جنة الرحمن - جل وعلا -.

ولا شك أن اختيار هذا الرجل قبل وفاة الصديق رضي الله عنه سيُجنب المسلمين محنة الاختلاف على الخليفة القادم.

فأراد أن يختار للمسلمين خليفة من بعده على أن يتم اختيار خليفته بالشورى بين المسلمين فشاور سعيد بن زيد، وأُسيد بن الحضير من الأنصار وغيرهما من الصحابة فى عمر بن الخطاب ومدى صلاحيته للخلافة من بعده، ثم أرسل فى طلب عبد الرحمن ابن عوف وقال له: أخبرنى عن عمر فقال ابن عوف: ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى، فدعا الصديق عثمان بن عفان وسأله عن عمر، فقال عثمان: علمى فيه أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

فلما أجمع الصديق على اختيار عمر خليفه له من بعده بعد أن شاور الصحابة، قال أحد المسلمين له: يا أبا بكر ما تقول لربك إذا سألك عن استخلاف عمر وقد ترى شدته؟.

فقال الصديق: أجلسونى، فلما أجلسوه قال: أبالله تخوفوننى؟ أقول

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٤) كتاب فضائل الصحابة - باب فضل أم أيمن.

لربى اللهم إنى استخلفت على أهلك خير أهلك[١].

وهنا جاء القرار الحاسم من الصديق رضي الله عنه فدعا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب. . . . إنى استخلفت عليكم.

ثم غُشى عليه.

فكتب عثمان: إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب.

فلما أفاق أبو بكر قال: اقرأ علىَّ، فقرأ عليه، فكبَّر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسى فى غشيتى.

قال: نعم.

قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله.

وأقرها أبو بكر رضي الله عنه وأمره أن يخرج على الناس بالكتاب فبايعوه لمن فيه قد علموا أنه عمر.

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالحب والبذل والتضحية والفداء والعدل والإيثار.

نام خليفة رسول الله ﷺ على فراش الموت ليلحق بحبيبه وصاحبه رسول الله ﷺ فى جنة الرحمن جل وعلا إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

عن عائشة رضي الله عنها: أول ما بُدئ مرض أبى بكر أنه اغتسل وكان يومًا باردًا

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص/ ١٧- ١٨) بتصرف.

فأصيب بالحُمَّى خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، وكانوا يعودونه، وكان عثمان ألزمهم له فى مرضه.

وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذى مات فيه قال: انظروا ماذا زاد فى مالى منذ دخلت فى الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى. فنظرنا فإذا عبدٌ نوبى كان يحمل صبيانه، وإذا بعير كان يسقى بستانًا له. فبعثنا بهما إلى عمر. فبكى عمر وقال: رحمة الله على أبى بكر لقد أتعب مَن بعده تعبًا شديدًا[1].

ثم قال: يا عائشة: إنه ليس أحدٌ من أهلى أحب إلىَّ منك، وقد كنت أعطيتك بستانًا وإن فى نفسى منه شيئًا فردِّيه إلى الميراث.

قالت: نعم.. فرددته.

وقال رضي الله عنه أما إنَّا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا، ولبسنا من خيش ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فَيْ المسلمين قليلٌ ولا كثير إلا هذا العبد الحبشى، وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر، وابرئى منهن ففعلت، فلما جاء الرسولُ إلى (عمر) بكى حتى جعلت دموعه تسيل فى الأرض ويقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[2].

واستمر مرض أبى بكر مدة خمسة عشر يومًا حتى كان يوم الاثنين ليلة الثلاثاء فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة.

---

(١) صفة الصفوة (١/ ١٠٨).

(٢) الطبقات (٣/ ١٤٧).

قال: أى يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين، قال: فإن مت من ليلتى فلا تنتظروا بى الغد، فإن أحب الأيام والليالى إلىَّ أقربها من رسول الله ﷺ (١).

وتوفى رحمه الله وهو ابن ثلاث وستين سنة، وغسَّلته زوجه أسماء بنت عُميس، وكان قد أوصى بذلك ودُفن جانب رسول الله حسب وصيته، وصلى عليه خليفته عمر ابن الخطاب، ونزل قبره عمر، وعثمان، وطلحة، وابنه عبد الرحمن، وجعل رأسه عند كتفى رسول الله ﷺ، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ.

وهكذا رحل أبو بكر الصديق الذى بذل نفسه وماله لخدمة الإسلام والمسلمين.

رحل الرجل الذى ما طلعت الشمس ولا غربت على رجلٍ أفضل منه بعد الأنبياء والمرسلين.

رحل أبو بكر الصديق ولكن لم ولن ترحل سيرته العطرة.

رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع فاروق الأمة الأكبر.

إنه الرجل الذى كان إسلامه فتحًا وكانت هجرته نصراً وكانت ولايته عدلاً.

إنه الرجل الذى قال عنه النبى ﷺ: «إن الله أجرى الحكمة على قلب ولسان عمر»، وقال عنه: «لو كان نبى بعدى لكان عمر»[1].

إنه الرجل الذى نزل القرآن أكثر من مرة موافقًا لرأيه.

إنه الرجل الذى بشَّره النبى ﷺ بالجنة.

إنه الرجل الذى أخبره النبى ﷺ بأن الشيطان يخافه ويهرب منه.

إنه الرجل الذى حفرت الدموع خطَّين أسودين فى وجهه من كثرة البكاء.

إنه العابد الزاهد المجاهد.

إنه العادل إن ذُكر العادلون.

هو من سهر لينام الناس.. وجاع ليشبع الناس.

هو من جعل كبير المسلمين أبًا، وأوسطهم أخًا، وأصغرهم ولدًا، ... فوقَّر أباه وأحَبَّ أخاه ورَحِم ولده.

هو مَن لا تأخذه فى الله لومة لائم.

هو قائل الحق ولو كان مُرًا.

إنه مَن اشترى أعراض المسلمين من أحد الشعراء بثلاثة آلاف درهم حتى قال ذلك الشاعر:

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨٦) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٢٧).

وأخـــــــذت أطـراف الـكـلام فـلـم تَـدع
شَـتـمًـا يـضـر ولا مـديحًـا ينفعُ
ومنعـتنى عـرض البـخـيل فلم يخف
شَـتـمـى وأصـبح آمنًا لا يفـزعُ

إنه (فاروق الأمـة) الذى زلزل عروش الظالمين. . . ودكَّ قلاع الاكـاسرة والقياصـرة، وخضعت لعدالته الجبـابرة والأباطرة وهوت عناكب الظلم أمام رايات عدله الخفـاقة وفتوحاته المظفرة. . . فـأرغم أنوف الروم وحطم كبرياء الفُرس وأخرج المغضوب عليهم (اليهود) من جزيرة العرب.

أخرجهم أذلة صاغرين.

إنه الزاهد العالم. . العابد الغيور. . الخائف من الله.

إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

من هنا نبدأ

وُلد عمـر بن الخطاب رضي الله عنه بعد عام الفـيل بثلاث عشـرة سنة وكان من قبيلة بنى عدى بمكة.

وكان قويًّا شجاعًا يخافه القريب والبعيد. . . وكان يعمل فى رعى الغنم ثم عمل بالتجارة. . . وكان قد تعـلَّم القراءة والكتابة فقد كان ذكيًّا فصيحًا بليغًا وكان يمتلك الكثـير من المواهب والقدرات التى أهَّلته ليكون بعد ذلك سفيرًا لقريش فى الجاهلية فيما بينها وبين غيرها من القبائل. . . وبخاصة إذا قامت الحروب بينهم.

* * *

شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة

وفى وسط الجاهلية العمياء التى كانت تعيشها قريش وغيرها من قبائل العرب شاء الله أن يُبعث النبى ﷺ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وبُعث النبى ﷺ وأخذ يدعو قومه إلى الإسلام فعادوه أشد العداء وآذوه إيذاءً شديداً هو وأصحابه فصبر النبى ﷺ ومن معه من المؤمنين واحتسبوا كل هذا عند الله جل وعلا.

إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

وفى وسط هذا الظلم والإيذاء الشديد للنبى ﷺ وأصحابه حدث ما لم يتوقعه المشركون... فلقد أسلم حمزة بن عبد المطلب الذى كان الناس يعملون له ألف حساب بسبب قوته وشجاعته.

وأسلم عدد آخر من الرجال... على رأسهم: عمرو بن عبسة وضماد الأزدى وأبو ذر الغفارى.

ولكن الضربة القاضية لظهر المشركين بعد إسلام حمزة هى إسلام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

فقد أسلم عمر بعد إسلام حمزة بأيام وذهب إلى دار الأرقم وأسلم بين يدى النبى ﷺ.

ولكن كيف كانت قصة إسلامه؟ فتعالوا بنا لنعرف قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قصة إسلام عمر رضي الله عنه

لقد كان عمر رضي الله عنه شديداً فى الجاهلية ولما بُعث النبى ﷺ وآمن معه

عدد قليل من الناس كان عمر يؤذيهم ويعذبهم عذابًا شديدًا حتى أنه كان يُعذب بعض الجوارى ثم يتركهن ويقول لهن: أنا ما تركتكن رحمة بكن ولكن لأنى مللت منكن، . . . وكان يشرب الخمر كثيرًا.

وفى يوم من الأيام لقى عمر امرأة تُسمى (أم عبد الله بنت أبى حثمة) وكانت قد عزمت على أن ترحل هى وزوجها عامر إلى بلاد الحبشة فرارًا من تعذيب قريش. . . . فقال لها عمر: إلى أين يا أم عبد الله؟ قالت: نخرج فى أرض الله فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجًا.

فقال عمر: صحبكم الله يا أم عبد الله.

فلما عاد زوجها عامر قالت له: لقد لقيت عمر وقال لى كذا ورأيته يتكلم برقة شديدة.

فقال زوجها عامر: أتظنين أن عمر سيُسلم؟!!! والله لو أسلم حمار الخطاب ما أسلم عمر بن الخطاب.

* وهكذا كان الناس جميعًا فى يأسٍ شديد من إسلام عمر لكن الله إذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه.

* ففى يوم من الأيام خرج عمر بن الخطاب إلى حانة من حانات الخمر ليشرب الخمر فلم يجد صاحب الحانة فقال فى نفسه: لو أنى جئت الكعبة فطُفت بها سبعة أشواط. . . فلما ذهب إلى الكعبة وجد النبى ﷺ قائمًا يصلى فقال عمر: إنها فرصة عظيمة أن أستمع إلى محمد لأعرف ماذا يقول. . . .

قال: فأردت أن أقترب منه ولكن أريد ألا يرانى حتى لا يفزع منى.

قال: فجئت من قِبل الحجر فدخلت تحت ثياب الكعبة حتى لا يرانى وجعلت أمشى رويدًا رويدًا حتى أصبحت أمامه لكنه لا يرانى لأنى كنت خلف أستار الكعبة.

قال: فلما سمعت القرآن تعجَّبت من حلاوته فتأثرت به ثم قلت فى نفسى إنه لقول شاعر... فسمعت النبى يقرأ ويقول: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾[١].

فقال عمر: إنه كاهن[٢].

فقرأ النبى ﷺ: ﴿وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. وظل عمر واقفًا فى مكانه حتى انتهى النبى ﷺ من صلاته ثم انصرف.

* وبدأ عمر يعيش صراعًا مع نفسه: هل يظل على شركه ليعيش آمنًا مطمئنًا بين قومه وعشيرته الذين يحاربون كل من أسلم.

* أم يُسلم ويعادى قومه وعشيرته وبخاصة وأن له مكانة كبيرة فى قريش فهو سفير قريش.

ومن أجل ذلك تأخر إسلام عمر قليلاً لكن الله هيأ له الأسباب التى جعلت قلبه ينشرح للإسلام.

فقد كان النبى ﷺ يدعو فى ذلك الوقت ويقول: «اللهم أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبى جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب»[٣].

* ففى يوم من الأيام عَلِم عمر أن النبى ﷺ وبعض أصحابه قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا فأخذ سيفه يريد قتل النبى ﷺ فلقيه رجل من بنى زُهرة - وهم أخوال النبى ﷺ - فقال له: إلى أين يا عمر؟

قال: إلى محمد لأقتله فقد فرَّق أمر قريش وعاب دينها وسَبَّ آلهتها.

فقال له الرجل: وهل تظن أن بنى هاشم وبنى عبد مناف سيتركوك تمشى على الأرض بعدها دون أن يقتلوك بعد أن قتلت محمدًا؟

---

(١) سورة الحاقة: الآيتان: (٤٠- ٤١).

(٢) الكاهن: هو الذى يدَّعى معرفة الغيب ويقوم بخدمة المعبد.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨١) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦٠٣٦).

فقال له عمر: يبدو أنك قد صبأت وتركت دين قومك واتبعت محمداً.

قال الرجل: ألا ترجع إلى أهل بيتك فتُقيم أمرهم؟

قال عمر: وأى أهل بيت؟

قال الرجل: لقد أسلمت أختك فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد واتبعا محمداً على دينه.

فرجع عمر وذهب إلى أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد رضي الله عنهما وكان خبَّاب بن الأرت رضي الله عنه يجلس معهما يعلمهما القرآن وكان معه صحيفة مكتوب فيها سورة طه.

فلما اقترب عمر من بيت أخته سمع صوت رجل يُعلمهما القرآن فلما دخل اختبأ خبَّاب فى مكان من البيت.

فقال عمر لأخته: ما هذا الصوت الذى سمعته؟

قالت: ما سمعنا شيئًا.

فقال عمر: لقد سمعت أنكما اتبعتما محمداً على دينه.

فقال له سعيد: أما آن الآوان يا عمر لأن تُسلم لله وتدع الأصنام التى يعبدها قومك.

فقام عمر وضربه ضربًا شديداً حتى طرحه أرضًا فقامت فاطمة لتدافع عن زوجها فضربها عمر حتى سالت الدماء من وجهها.

فقالت له: نعم لقد أسلمنا لله.. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر الدماء تسيل من وجه أخته رقَّ قلبه لها رقة شديدة وقال لأخته: أعطينى هذه الصحيفة التى بيدك.

فقالت له: إنى أخشى أن تمزقها.

فحلف لها عمر أن لن يمسها بسوء.

فقالت له: إنك مشرك نجس وهذه الصحيفة لا يمسها إلا المطهرون فقم واغتسل.

فقام عمر فاغتسل ثم عاد إليها وأخذ منها الصحيفة وبدأ يقرأ فيها ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ [١]، حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [٢].

فأحسَّ عمر بروعة القرآن وعظمته فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خبَّاب خرج من مخبئه وقال له: أبشر يا عمر فقد سمعت رسول الله يدعو فيقول: «اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام»، وإني لأرجو الله أن تكون أنت يا عمر.

* فقال عمر لخباب: يا خباب دُلني على محمد حتى آتيه فأُسلم فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نَفَرٌ من أصحابه فأخذ عمر سيفه ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من فتحة بالباب فرآه متوشحًا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرًا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «ائذن له» فأذن له الرجلُ، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ ردائه، ثم جذبه جذبة شديدة، وقال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعة» فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله، قال: فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرة، عرف أهل البيت من

---

(١) سورة طه: الآيتان: (١- ٢).

(٢) سورة طه: الآية: (١٤).

أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم وأصر على أن يخرجوا جميعًا أمام المشركين ليعرفوا أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء [١].

*وخرج المسلمون لأول مرة يجهرون بكلمة التوحيد أمام المشركين فى صَفَّين. . . على رأس الصف الأول عمر بن الخطاب وعلى رأس الصف الثانى حمزة بن عبد المطلب. فعرف المشركون أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء بفضل الله جل وعلا.

إن إسلام عمر كان فتحًا

ولقد كان إسلامه سببًا عظيمًا فى ظهور الإسلام وقوته، وذلك لما كان يتميز به من القوة والشجاعة فكان لا يخاف فى الله لومة لائم.

* قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر» [٢].

وقال عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحًا وإن هجرته كانت نصرًا وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.

وكان إسلام عمر بعد خروج مَن خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

نعمة الإسلام

وبعد ما أسلم عمر وأعلن التوحيد لله عز وجل أصبح إنسانًا آخر فلقد غيرَّه الإيمان والإسلام. . . فبعد أن كان حريصًا كل الحرص عل أن يقتل النبى ﷺ أصبح يتمنى أن يفدى النبى ﷺ بنفسه وماله وأولاده، وبعد أن كان يعذب المسلمين أصبح رقيق القلب رحيمًا بكل من حوله حتى أننا

(١) رواه أحمد (٣٧١) فى فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٦٨٤) كتاب المناقب.

سنراه قريبًا بعد أن أصبح أميرًا للمؤمنين يجلس بجوار البعير المريض ويبكى ويقول: والله ما أدرى ما بك وإنى لأخشى أن يسألنى الله عنك يوم القيامة.

وبعد أن كان يصد الناس عن الإسلام أصبح يتمنى أن يُسلم الكون كله لله جل وعلا.

* عاش عمر رضي الله عنه فى صحبة النبى ﷺ يتعلم منه ويتربى بين يديه ويفديه بنفسه ويدافع عنه ويبذل كل ما يستطيع لخدمة هذا الدين العظيم.

هجرة رغم أنوف المشركين

* وتمر الأيام ومازال المشركون يعذبون المؤمنين عذابًا شديدًا ولا يستطيع أحدٌ أن يقف فى وجه هؤلاء الطُّغاة الذين عذبوا أصحاب النبى ﷺ.

وهنا جاءت فكرة الهجرة إلى المدينة المنورة وبخاصة بعد أن بايعه أهل المدينة بيعة العقبة الثانية وأصبحت المدينة مؤهلة لأن تكون وطنًا جديدًا يأوى إليه النبى ﷺ وأصحابه.

وأوحى الله إلى النبى ﷺ بأن يأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة ولكن كان لابد من أن تكون الهجرة سرًا حتى لا يعلم المشركون بذلك فيمنعوهم من الهجرة.

وبدأت وفود المؤمنين تهاجر سرًا من مكة إلى المدينة، ويالها من خطوة تحتاج إلى صدق وإخلاص وعزيمة فقد تركوا الديار والأموال والأهل والأصحاب وفارقوا الأوطان حتى يفوزوا برضوان الله وجنته.

* وهاجر أصحاب الرسول ﷺ إلى المدينة سرًا إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد خرج علانية أمام المشركين فأخذ سيفه ورُمحه ومضى نحو الكعبة فوجد المشركين جالسين عند الكعبة فطاف بها سبعة أشواط ثم أتى المقام

فصلى ركعتين وقال للمشركين: من أراد أن تفقده أمه أو ترمل زوجته أو يصبح ولده يتيمًا فليلقنى خلف هذا الوادى. فخافوا جميعًا ولم يتبعه رجلٌ منهم.

* ولم تكن الهجرة فرارًا أو هروبًا من أذى المشركين بل إنها قبل أى شىء امتثال لأمر الله جل وعلا فهو الذى أوحى لنبيه بالهجرة.

وكذلك كانت الهجرة من أجل الهروب من الفتن والابتلاءات والأذى... وكذلك كانت الهجرة من أجل نشر دعوة النبى ﷺ وتربية جيل فريد لينشر هذه الدعوة فى بقاع الأرض كلها.

فى رحاب الأنصار

وهكذا هاجر عمر من مكة إلى المدينة فلما وصل إلى المدينة وجد الأنصار فى استقباله هو وإخوانه من المهاجرين... ففتحوا لهم قلوبهم قبل بيوتهم واستقبلوهم أعظم استقبال.

ورغم المحبة والأخوة التى رآها من إخوانه الأنصار إلا أن عمر كان فى قمة الشوق لرؤية الحبيب ﷺ.

وما هى إلا فترة يسيرة حتى هاجر النبى ﷺ إلى المدينة وأضاءت المدينة بقدومه ﷺ وأحسَّ عمر أنه قد امتلك الدنيا بكل ما فيها عندما رأى النبى ﷺ مرة أخرى.

* وعاش عمر فى رحاب النبى ﷺ... وكان النبى ﷺ يحبه حبًا جمًا ويُقربه منه حتى اتخذه مع أبى بكر وزيرين له يستشيرهما فى أمور المسلمين ويستعين بهما فى بناء قواعد الدولة الإسلامية.

❋ ❋ ❋

محبة النبى لعمر وثناؤه عليه

ولقد كان النبى ﷺ يحب عمر حبًا جمًا ويُثنى عليه دائمًا وذلك لما رآه من صدق إيمانه وصلابته فى الحق وحرصه على البذل والعطاء والتضحية من أجل هذا الدين العظيم.

فها هو ﷺ يقول: «لو كان نبى بعدى لكان عمر بن الخطاب»(١).

وها هو يقول: «إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه»(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد النبى ﷺ أُحُدًا ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله وقال: «اثبت أُحُد فما عليك إلا نبى أو صدِّيق أو شهيدان»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أرأف أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى دين الله عمر»(٤).

النبى ﷺ يبشره بالجنة ويرى قصره فيها

وها هو الحبيب الصادق المصدوق ﷺ يبشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه من أهل الجنة ويالها من بشرى... بل إن الحبيب ﷺ رأى قصر عمر فى الجنة.

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨٦) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٢٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨٢) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٣٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٦٨٦) كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ.

(٤) أخرجه أبو يعلى (١٠/ ١٤١)، وابن عساكر (٧/ ٣٢٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٦٨).

«أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلى فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة، وسعيد بن زيد فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت لمن هذا؟ فقالوا: لشاب من قريش، فظننت أنى أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب»(٢).

* بل إن النبى ﷺ من شدة حبه لعمر رضي الله عنه تزوج ابنته حفصة ليُقربه منه أكثر وأكثر.

وكان النبى ﷺ يُسميه أبا حفص (يعنى الأسد) ويُكنيه بالفاروق.

جهاده فى سبيل الله

* ولما نادى منادى الجهاد: يا خيل الله اركبى... كان عمر فى مقدمة هؤلاء الصحب الكرام الذين خرجوا للجهاد فى سبيل الله فشهد مع النبى ﷺ كل الغزوات ولم يتأخر أبدًا عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

حاله مع القرآن

ولقد كان عمر رضي الله عنه يتعايش بقلبه وجوارحه مع كل آية من آيات القرآن فها هو يحفظ سورة البقرة فى أكثر من عشر سنين مع أنه كان قادرًا على أن يحفظها فى أيام قليلة.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٤٨) كتاب المناقب، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨٩) كتاب المناقب، وأحمد (١١٩٨٥) وابن حبان (٢١٨٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٦٤).

فلما سأله أصحابه عن ذلك قال لهم: ما كنت أحفظ آية حتى أكون قد عملت بالتى قبلها.

* وكان يبكى كثيراً عند سماع القرآن... بل كان يسير مرة فسمع رجلاً يقرأ سورة الطور إلى أن وصل إلى قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾[١]. فسقط عمر من على الدابة وهو يبكى ويقول: قَسَمٌ حقٌ ورب الكعبة... ومرض شهراً كاملاً يعوده الناس ولا يدرون ما به.

* بل لقد كانت آيات القرآن تنزل موافقة لرأى عمر رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال عمر: وافقت ربى فى ثلاث: فقلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلًّى فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البَرُّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبى ﷺ فى الغيرة عليه. فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يُبدله أزواجًا خيراً منكن، فنزلت هذه الآية[٢].

* بل لقد نزلت آيات كثيرة غيرها موافقة لرأى عمر فى أكثر من خمسة عشر موضعًا فى كتاب الله جل وعلا.

شياطين الجن والإنس تفر من عمر رضي الله عنه

إن الإنسان كلما ازداد خوفه من ربه عز وجل فإن الله يُلقى هيبته فى قلوب مَن حوله... وها هو فاروق الأمة رضي الله عنه يُلقى الله هيبته فى قلوب الشياطين فما إن تراه حتى تهرب خوفًا منه!!!

---

(١) سورة الطور: الآية: (٧، ٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٠٢) كتاب الصلاة، وأحمد (١٥٧) والنسائى فى الكبرى (٨/ ١٣).

ولذا قال له النبى ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا[١] إلا سَلَك فجًا غير فَجِّك»[٢].

موقفه فى يوم صلح الحديبية

وفى صلح الحديبية كان النبى ﷺ قد خرج بأصحابه قاصدين مكة لأداء العمرة فما كان من قريش إلا أن منعت النبى ﷺ وأصحابه من دخول مكة لأداء العمرة وأرسلوا رجالاً للتفاوض مع النبى ﷺ وتم الاتفاق فى النهاية على هدنة الحديبية والتى كانت تحتوى على شروط وبُنودٍ تتلخص فيما يلى:

١- وضع الحرب لمدة عشر سنين فلا يحاربهم النبى ﷺ ولا يحاربونه.

٢- من أتى رسول الله ﷺ ليُسلم بغير إذن وليه فإن النبى ﷺ يرده عليهم وأما من جاء من المسلمين يريد أن يلحق بالمشركين فلهم أن يقبلوه.

٣- أن يرجع النبى ﷺ وأصحابه هذا العام... فإذا كان العام القادم خرج المشركون من مكة وتركوها للنبى ﷺ وأصحابه لمدة ثلاثة أيام ليطوفوا بالبيت... على ألا يدخلوها إلا بالسيوف فقط.

❊ ❊ ❊

(١) سالكًا فجًا: أى ماشيًا فى طريق.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٦) كتاب فضائل الصحابة.

اعتراض عمر بن الخطاب على بنود الصلح

لقد كان المسلمون يعلوهم الحزن الشديد لسببين اثنين:

الأول: أن النبى ﷺ كان قد أخبرهم أنهم سيطوفون بالبيت.

والثانى: أن النبى ﷺ قَبِل ضغط قريش فى هذا الصلح.

وصارت مشاعر المسلمين لأجلهما جريحة، بحيث غلب الهم والحزن على التفكير فى عواقب بنود الصلح، . . لعل أعظمهم حزنًا كان عمر بن الخطاب، فقد جاء إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله: ألست نبى الله حقًّا؟!

قال: «بلى».

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟!

قال: «بلى».

قلت: فَلِم نُعطى الدنيَّة [1] فى ديننا إذًا؟!

قال: «إنى رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصرى».

قلت: أوَ ليس كنت تحدثنا أنَّا سنأتى البيت فنطوف به؟

قال: «بلى فأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟».

قال: قلت: لا.

قال: «فإنك آتيه ومُطوفٌ به».

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقًّا؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

---

(١) أى: لماذا نتنازل لهم ونعطيهم أكثر من حقهم.

قال: بلى.

قلت: فلمَ نُعطى الدنيَّة فى ديننا إذًا؟

قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصى ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق.

قلت: أليس كان يحدثنا أنَّا سنأتى البيت ونطوف به؟

قال: بلى، فأخبرك أنه تأتيه العام؟

قلت: لا.

قال: فإنك آتيه ومُطوفٌ به.

قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً[1] - أى: عمل أعمالاً صالحة كثيرة ليُكفِّر عن مجادلته للنبى ﷺ.

موقف الفاروق رضي الله عنه عند موت النبى ﷺ

وعاش عمر أجمل أيام حياته مع النبى ﷺ وحجَّ معه حجة الوداع.

وتمر الأيام وتأتى اللحظة التى أظلمت فيها المدينة بموت النبى ﷺ وبكى أصحاب الرسول ﷺ بكاءً مريراً فقد فقدوا رسولهم وحبيبهم ومُعلمهم ومُرشدهم وهاديهم وقدوتهم فى لحظة واحدة.

ووقف عمر بن الخطاب وقد أخرجه الخبر عن وعيه يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى، وإن رسول الله ما مات ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع بعد أن قيل قد مات.

والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليُقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات!

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

مبايعته لأبى بكر الصديق

ولما توفى رسول الله ﷺ كاد أن يحدث خلاف كبير بين المهاجرين والأنصار بسبب اختيار خليفة المسلمين فقام عمر رضي الله عنه وحسم الخلاف بقوله: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يُصلى بالناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر، فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر.

وفى اليوم التالى صعد عمر على المنبر وقال: قد كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يُدْبرنا - أى يكون آخرنا موتًا ونحن نموت قبله - ثم أكمل كلامه فقال: فإن كان محمد ﷺ قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثانى اثنين، فإنه أولى الناس بأموركم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة، وكانت بيعة الناس العامة على المنبر.

* وبذلك تم القضاء على هذه الفتنة وبويع أبو بكر بالخلافة وظل عمر بجوار أبى بكر يسانده وينصره ويعاونه فى مهام الخلافة فتولى القضاء وبيت المال وكان أبو بكر لا يقضى أمرًا إلا بعد أن يستشير عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

دوره العظيم فى جمع القرآن

ولقد كان لعمر أعظم دور فى جمع القرآن الكريم فى عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنهما.

ففى حروب الردة التى خاضها المسلمون ضد المرتدين قُتل عددٌ كبير من حفظة القرآن فرأى المسلمون وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أنه لابد من جمع القرآن فى مصحفٍ واحد.

فأشار عمر على أبى بكر بجمع القرآن.

فقال أبو بكر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ.

فقال عمر: هذا والله خير.

ودار بينهما حوار طويل حتى اقتنع أبو بكر بذلك وشرح الله صدره لهذا الأمر.

فأرسل أبو بكر لزيد بن ثابت وقال له: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبَّع القرآن فاجمعه.

فقام زيد بجمع القرآن ونسخه فى صُحُف ثم أعطاها لأبى بكر الصديق فبقيت عنده حتى توفاه الله فأخذها عمر حتى توفاه الله ثم كانت عند حفصة بنت عمر إلى أن أخذها منها عثمان بن عفان لينسخها زيد بن ثابت ثم ردَّها إليها.

استخلاف أبى بكر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

ولما دنا أجل الصديق رضي الله عنه وقد أكرمه الله عز وجل بالقضاء على فتنة المرتدين وكثرت الفتوحات الإسلامية فى عهده وساق الله على يديه الخير الكثير للإسلام والمسلمين فأحسَّ أنه من الأفضل أن يستخلف رجلاً من بعده يكمل مسيرة الإصلاح ونشر الدعوة ويأخذ بأيدى الناس إلى جنة الرحمن جل وعلا.

ولا شك أن اختيار هذا الرجل قبل وفاة الصديق رضي الله عنه سيُجنب المسلمين محنة الاختلاف على الخليفة القادم.

فأراد أن يختار للمسلمين خليفة من بعده على أن يتم اختيار خليفته بالشورى بين المسلمين فشاور سعيد بن زيد وأُسيد بن الحضير من الأنصار وغيرهما من الصحابة فى عمر بن الخطاب ومدى صلاحيته للخلافة من بعده، ثم أرسل فى طلب عبد الرحمن ابن عوف وقال له: أخبرنى عن عمر فقال ابن عوف: ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى فدعا الصديق

عثمان بن عفـان وسأله عن عمر، فقال عثمان: علمى فـيه أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

فلما أجمع الـصديق على اختيار عـمر خليفة له من بعـده بعد أن شاور الصحـابة، قال أحد المسلمـين له: يا أبا بكر ما تقـول لربك إذا سألك عن استخلاف عمر وقد ترى شدته؟ فقال الصديق: أجلسونى فلما أجلسوه قال: أبالله تخوفوننى؟ أقول لربى: اللهم إنى استخلفتُ على أهلك خير أهلك.

* وهنا جاء القـرار الحاسم لأبى بكر فـدعا عثـمان بن عفـان وأمره أن يكتب العهد باستخلاف عمر بن الخطاب من بعده على المسلمين.

* وكان المسلمـون ينادونه ويقولون: يا خليفة خليـفة رسول الله ﷺ فكان النداء طويلاً وثقـيلاً فـجاء رجل من الأعـراب إلى عمـر بن الخطاب فنادى عليه وقال: يا أمير المؤمـنين فأحبَّ الصحابة هذا اللقب فكانوا ينادونه به بعد ذلك.

وتوفى أبو بكر فى جـمادى الآخرة سنة (١٣هـ)، وتولى عـمر تجهـيزه ودفنه، ثم قام فى الناس خطيبًا ليبين لهم سـياسته فى الحكم، فأخبرهم أنه يَعُدُّ الخـلافة أمانة واخـتبارًا من الله، وأنه سـيقوم برعـاية أهل المدينة ومن حولها مـن البلاد القريبة، أمـا البلاد البعيدة فـإنه سيولّى عليهـا أهل القوة والأمانة، ثم إن المحسن له ثوابه والمسئ له عقابه.

ولما كان عمر رضي الله عنه تاجرًا يأكل من تجـارته؛ رأى أن يتفرغ لمهام الخلافة، ولما سأله الناس عن حقه (راتبه) فى بيت مال المسلمين قال: يحل لى ثوبان: ثوب فى الشتاء وثوب فى الصيف، وما أحج به وأعتمر وقُوتُ أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفـقرهم ثم إنى رجل من المسلمين يصـيبنى ما يصيبهم[١].

(١) الخلافة الراشدة/ أ. سامى عبد الرؤوف، أ. عبد الحسيب الخانى (ص: ٢٧- ٢٨) ط. صغير.

* ولقد كان عمر رضي الله عنه يُضرَب به المثل فى الزهد والورع والعلم والحلم والقوة والشجاعة والعدل والمساواة.

ولقد أخذ عمر نفسه بالشدة؛ فأكل الخشن من الطعام، ولبس الخشن من الثياب وكان شديداً فى محاسبة نفسه؛ حتى كلَّمه الصحابة فى ذلك، فشكرهم على نصيحتهم وبيَّن لهم أنه لا يُلزم أحداً بهذه الشدة، ولكنه يريد أن يلحق بالنبى وأبى بكر فى المنزلة يوم القيامة.

وضرب عمر المثل للحاكم الذى يولى رعيته كل اهتمامه، فكان يسأل عن أحوال الناس، ويتفقدهم، ويطوف فى الأسواق ويسأل عن الأسعار، وينتقل بين القبائل يعطى الناس رواتبهم، ويسير فى الطرقات ليلاً ونهاراً، . . . رآه يوماً أحد الصحابة يدخل بيتًا، فذهب فى الصباح ليرى مَن فى البيت، فإذا عجوز عمياء مُقعدة يتعهدها عمر بالرعاية ويقوم على قضاء حوائجها سراً.

وكان عمر من أرقِّ الناس قلبًا، وأكثرهم رأفة ورحمة، وكان رغم شدته فى الحق ومحاسبته الشديدة لأهله ورعيته، إلا أنه كان سريع العَبرة كثير الدمع حتى صار فى وجهه خطان أسودان من شدة بكائه[1].

الفتوحات الإسلامية فى عهده

بدأ عمر خلافته بترغيب الناس فى الجهاد فى بلاد فارس بعد أن نقض الفرس عهودهم وآذوا المسلمين فأرسل عدة جيوش كان أولها بقيادة أبى عُبيد ابن مسعود، ثم تبعه جيش آخر بقيادة عبد الله البجلى ثم تتابعت الجيوش إلى العراق لنشر الإسلام ودعوة الناس للدخول فى دين الله.

وتجمَّع الفرس وتعاهدوا على قتال المسلمين وطردهم من العراق، فكتب

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٣٧).

المثنى بن حارثة، قائد جيوش المسلمين إلى عمر يُطلعه على الموقف، فقدَّر عمر خطورة الأمر، فأمر المثنى أن يُرغِّب مَن حوله من الناس فى الجهاد، ثم دعا المسلمين فى البلاد إلى الجهاد؛ فلبَّى المسلمون النداء وجاءوا من كل مكان إلى المدينة وأراد عمر أن يقود هذه القوات بنفسه، فأشار عليه الصحابة أن يظل هو بالمدينة ينظم الجيوش ويتابع المعارك، وأن يعهد بقيادة هذا الجيش إلى سعد بن أبى وقاص فوافق عمر.

وسار سعد إلى العراق ودارت بينه وبين الفرس عند القادسية معارك عنيفة، أبلى فيها المسلمون بلاءً حسنًا، وظهرت البطولات، وقاتل المسلمون قتال الشجعان حتى انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للفرس.

ثم كتب عمر إلى سعد يأمره بمواصلة الفتوحات؛ فانطلق المسلمون إلى بلاد فارس ينشرون نور الإسلام، ففتحوا المدائن عاصمة دولة الفرس، ثم تحقق فتح الفتوح (نهاوند) وفُتحت كبرى المدن الفارسية، كأصبهان، وأذربيجان، وخُراسان وانتشر الإسلام فى بلاد فارس.

وفى بلاد الشام انطلقت الجيوش الإسلامية بقيادة أبى عُبيدة بن الجراح بعد معركة اليرموك تحرر الناس من عبادة البشر إلى عبادة رب البشر، ومن ظلم الجاهلية إلى عدل الإسلام ففُتحت دمشق، وحِمْص وحلب وسواحل بلاد الشام وباقى المدن الشامية.

وفى ربيع الآخر سنة (١٦هـ) فُتحت مدينة القدس وذهب عمر بنفسه ليوقِّع الصلح بين المسلمين وأهل المدينة، . . . ويُروى أن عمر سافر إلى الشام بمفرده، راكبًا دابته، وليس على رأسه عمامة، ولما عرضت له بركة ماء نزل عن دابته، وأمسك حذاءه بيده، وخاض الماء ومعه دابته.

وعَظُم فى أعين قادة جيوشه أن يدخل عمر الشام على تلك الهيئة فكلَّمه أبو عبيدة فى ذلك ولكن الذى اختار الآخرة وزهد فى مفاتن الدنيا وعزم

على أن يلحق بصاحبيه محمد ﷺ وأبى بكر أجابه: لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله.

وعند مدينة الرملة جاء ممثل القدس ومعه أعيان المدينة؛ فصالحهم عمر، وأمَّنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وترك لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، فالإسلام لا يُكره أحدًا على الخروج من دينه والدخول فيه، وعليهم دفع الجزية مقابل الخدمات التى تُقدَّم لهم، وكتب بذلك وثيقة تضمن لهم حقوقهم وتذكرهم بالواجبات التى عليهم.

ثم أمر (عُمَر) عمرو بن العاص أن يتوجه إلى مصر لفتحها فخرج عمرو إلى أهل مصر ليخلصهم من ظلم الرومان وبطشهم، وتابعه عمر فأرسل إليه الإمدادات حتى فُتحت مصر وبلاد النوبة وبرقة وطرابلس.

قال الزهرى: فتح الله الشام كله على عمر والجزيرة ومصر والعراق كله، ودوَّن الدواوين قبل أن يموت بعام، وقسَّم على الناس فيئَهم.

وفى المدينة المنورة عاصمة الخلافة أقام عمر حكمًا قائمًا على الشورى فاختار مجموعة من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وفُضلاء العرب يستشيرهم ولا يقطع أمرًا دون مشورتهم[1].

صور من عدل فاروق الأمة عمر رضي الله عنه

كان الفاروق رضي الله عنه حريصًا على العدل غاية الحرص ولذا كان ينتقى (الولاة) انتقاءً فكان لا يعطى الولاية لمن يحرص عليها، بل كان يعطيها لأهل الزهد والعفاف والتقوى، وكان يحرص على أن يتابعهم ويوصيهم بالناس خيرًا.

* **عن أبى عثمان قال:** استعمل عمر رضي الله عنه رجلاً من بنى أسد على عمل، فدخل ليسلم عليه فأتى عمر ببعض ولده فقبَّله، فقال الأسدى: أتُقبل هذا يا

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٢٨- ٣٢) بتصرف.

أميـر المؤمنين؟ فوالله مـا قبلت ولداً لى قط!! فقـال عمـر: فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمة، لا تعمل لى عملاً أبداً، فرد عهده أو قال: فما ذنبى إن كان الله - عز وجل- نزع الرحمة من قلبك، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، ثم قال: مزق الكتاب، فإنه إذا لم يرحم أولاده، فكيف يرحم الرعية؟! (١).

لله درك من إمام

* وذات يوم يتلقى الفاروق هدية من الحلوى، ولا تكاد توضع بين يديه حتى يسأل الرسـول الذى جاء يحملها: ما هذا؟ قـال: حلوى يصنعها أهل أذربيجان، وقد أرسلنى بها إليك عتبة بن فرقد ـ وكان والياً على أذربيجان ـ فذاقها عمر، فوجد لها مذاقًا شهيًّا، فعاد يسأل الرسول: أكُل المسلمين هناك يطعـمون هذا؟ قـال الرجل: لا... وإنما هو طعـام الخاصـة. فقـال عمـر للرجل: أين بعيرك؟ خذ جملك هذا وارجع به لعـتبة، وقل له: عمر يقول لك، اتق الله، وأشبع المسلمين مما تشبع منه..!!

وأنا والله ما نسيتها بعد!!!

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأنا فى السـوق وهو مارٌّ فى حـاجة له، ومـعه الدِّرة قـال: هكذا أمط عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقنى بها خـفقة، فما أصاب إلى طرف ثوبى، فـأمطت عن الطريق، فسكـت عنى حتى كـان فى العام المـقبل فلقـينى فى السوق فقال: يا سلمة أردت الحج العـام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدى، فمـا فارقت يدى يده حتى دخل بى بيته، فأخـرج كيسًا فيه سـتمائة درهم فقال: يا سلمة استعن بهذه، واعلم أنهـا من الخفقة التى خفقتك عام

(١) أخرجه عبد الرزاق والبخارى فى الأدب المفرد، وحسّن إسناده الشيخ الألبانى (٧٢).

أول، قلت والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها! قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.

يا عمر.. عدلت فأمنت فنمت!!!

أرسل قيصر روما رسولاً إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول فى طلبه، فرآه نائمًا فى الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع جبته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه وقد بلَّ الأرض، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع فى قلبه وقال: رجل لا يقر للملوك قرار من هيبته وتكون هذه حاله! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرًا خائفًا، أشهد أن دينك الدين الحق ولولا أننى أتيت رسولاً لأسلمت، ولكنى أعود وأُسلم».

فاروق الأمة... وأم الأيتام

فى ليلة من الليالى خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمشى فى شوارع المدينة المنورة ليطمئن على أحوال الرعية... وفجأة رأى منظرًا عجيبًا!!!... لقد رأى فى وسط هذا الظلام الدامس نارًا مشتعلة من بعيد.

فلما اقترب أمير المؤمنين عمر ومعه غلامه (اسمه أسلم) وجد امرأة قد أشعلت نارًا ووضعت عليه وعاءً كبيرًا.. وبجوارها أطفال صغار يصرخون من شدة الجوع.. فهذا يقول: يا أماه أريد طعامًا.. والآخر يقول: يا أماه سأموت من الجوع.. والثالث يصرخ ولا يستطيع أن يتكلم.. فصعق عمر

لهذا المشهد وسألها عن سبب بكاء الأطفال.

فقالت: إنهم يبكون من شدة البرد والجوع.

فنظر عمر إلى الوعاء الذى وضعته على النار وقال لها: أليس فى هذا الوعاء طعام؟

قالت المرأة والدموع تسيل من عينيها: إنه ماء وضعته على النار حتى يسكتوا وينامـوا... والله بيننا وبين عمر - ولم تعرف أن الذى يكلمها هو أمير المؤمنين عمر -.

فقال لها عمر: وما يُدرى عمر بحالك؟.

فقالت المرأة: سبحان الله.. يتولى أمرنا وينسانا.

* تألم عمر من كلام المرأة.. وتألم أكثر وأكثر من مشهد هؤلاء الأطفال اليتامى الذين يصرخون من شدة الجوع... فانصرف عمر ومعه غلامه أسلم إلى مخزن بيت المال فأخرج كيسًا من دقيق وقارورة فيها زيت وكيسًا فيه سكر وقال لغلامه أسلم: احمل على ظهرى.

فقال له أسلم: أحمل عليك أم أحمله عنك؟

فقال له عمر: احمل عنى.. هل أنت ستحمل عنى ذنوبى يوم القيامة.

* وأسرع عمر إلى تلك الأم وأولادها ووضع أمامها الدقيق والزيت والسكر وأخرج لها جزءًا يسيرًا لتصنع منه طعامًا لأولادها وأخذ ينفخ فى النار حتى تشتعل أكثر وأكثر لينضج الطعام.

فلما نضج الطعام أخذ عمر يقدم الطعام للأطفال ثم ترك عندهم باقى الدقيق والزيت والسكر وقال لهذه المرأة: اذهبى غدًا إلى أمير المؤمنين وسوف تجدينى هناك إن شاء الله.

* وظل عمر ينظر إلى الأطفال حتى رآهم يضحكون فقال لغلامه أسلم: جئت وهم يبكون فأحببت ألا أنصرف إلا وهم يضحكون.

فذهبت إليه المرأة فى اليوم التالى فلما رأته وعرفت أنه أمير

فزعت وخافت.

فقال لها عمر: لا تخافى ولا تفزعى... ثم أمر لها ولأولادها براتب

تصرفه كل شهر من بيت مال المسلمين.

عبادته رضي الله عنه

وعلى الرغم من أن الفاروق عمر كان يحمل هموم الأمة كلها إلا أنه لم

ينسَ أبدًا حظه من العبادة التى يتزود بها فى سفره إلى الدار الآخرة.

* فقد كان عمر يسرد الصوم فى آخر عمره ولا يفطر إلا فى يوم الفطر أو

الأضحى وكان يقوم الليل ويصلى ما شاء الله له أن يصلى ثم يوقظ أهله ويقول

لهم: الصلاة الصلاة ويتلو هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.

ولما قيل له: ألا تنام؟

قال: لئن نمت بالنهار ضاعت رعيتى ولئن نمت بالليل ضاعت نفسى.

* ومن شدة إعجاب الصحابة بعبادة عمر قام رجل اسمه عثمان بن أبى

العاص فتزوج امرأة من نساء عمر بعد موته وبعد انقضاء عدتها فلما سُئل

عن سبب ذلك قال: والله ما تزوجتها رغبة فى المال ولا الولد ولكنى

أحببت أن تخبرنى عن ليل عمر كيف كانت عبادته فيه.

فاروق الأمة وحسن الاتباع

واستلم عمر الحجر الأسود وقال: إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا

تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يُقبلك ما قبلتك.

وقال نافع: كان الناس يأتون الشجرة، التى بايع رسول الله ﷺ تحتها بيعة

الرضوان، فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها، وأمر بها فقُطعت.

* ولقد أمر عمر بقطع تلك الشجرة خوفًا منه أن يظن الناس بعد ذلك أنها تنفع أو تضر فيعبدونها من دون الله.

كرمه وجوده رضي الله عنه

ولقد كان عمر فى قمة الجود والكرم حتى أنه لما دعا النبى ﷺ أصحابه يومًا للصدقة ذهب عمر إلى النبى ﷺ بنصف ماله.

* بل قال أحد التابعين: كنت عند عمر يومًا فأُتى باثنين وعشرين ألف درهم، فلم يَقُم من مجلسه حتى يفرقها، وكان إذا أعجبه شيءٌ من ماله تصدق به، وكان كثيرًا ما يتصدق بالسُّكَّر، فقيل له فى ذلك فقال: إنى أحبه وقد قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (١).

صفحة مشرقة من زهده وورعه رضي الله عنه

ولقد كان عمر رضي الله عنه فارسًا فى ميدان الزهد والورع فلقد كان لا يريد شيئا من زهرة الدنيا وزينتها الفانية ولذلك كان خشن العيش وخشن المطعم يلبس ثوبًا مرقعًا.

* وفى يوم من الأيام تأخر عمر عن خطبة الجمعة فلما حضر وصعد المنبر اعتذر للناس وقال: إنما تأخرت لأنه ليس لى إلا قميص واحد فكانت امرأتى تخيطه بعدما قُطع.

* ولما عُوتب مرة لأنه يأكل طعامًا رديئًا قال لهم: لو شئت لأكلت أطيب وألين طعام ولكنى أخشى أن يُنقص ذلك من حسناتى وإنى تركت صاحبيَّ - النبى ﷺ وأبى بكر - على الجادة فأخشى إن تركت طريقهما ألا أدركهما فى المنزل - أى فى الجنة-.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

* ولما حدث قحط وجدب فى عام الرمادة حلف عمر ألا يذوق سمنًا ولا لبنًا ولا لحمًا حتى يشبع الناس فكان لا يأكل إلى الخبز والزيت حتى اسودَّ جلده وكان يقول: بئس الوالى أنا إن شبعت والناس جياع.

جُوع الخليفة والدنيا بقبضته
منزلة فى الزهد سبحان موليها
فمن يبارى أبا حفص وسيرته
أو من يحاول للفاروق تشبيها
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها
من أين لى بثمن الحلوى فأشريها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به
أولى فقومى لبيت المال رُدّيها
كذاك أخلاقه كانت وما
عُهدت بعد النبوة أخلاقٌ تحاكيها

* وأما عن ورعه فحدِّث ولا حرج فقد كان قمة فى الورع.

أنفق عمر بن الخطاب فى حجة حجَّها ثمانين درهمًا من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، قال: ثم جعل يتأسف، ويضرب بيده على الأخرى، ويقول: ما أخلقنا أن نكون قد أسرفنا فى مال الله تعالى.

ولما ورد عمر الشام، صُنع له طعام لم يرَ قبله مثله فلما أُوتى به قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين باتوا لا يشبعون من خبز الشعير؟

فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لهم الجنة، فاغرورقت عيناه، فقال: إن كان حظنا فى هذا ويذهب أولئك بالجنة لقد سبقونا وفازوا فوزًا عظيمًا.

* وفى يوم من الأيام دخل عمر السوق فوجد إبلاً سمينة فقال: لمن هذه؟

قالوا: لعبد الله بن عمر ابن أمير المؤمنين.

فدعا ابنه عبد الله وقال له: ما هذه الإبل؟

فقال عبد الله: إنها إبل هزيلة اشتريتها وبعثت بها إلى المراعى لتأكل حتى سمنت وجئت لأبيعها كما يفعل كل الناس.

فقال عمر: لقد سمنت لأن الناس كانوا يقولون: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين... اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين... يقصد أن الناس كانوا يجاملونه لأنه ابن أمير المؤمنين. ثم أمره أمير المؤمنين عمر بأن يبيع تلك الإبل ويأخذ رأس ماله ويرد الربح كله إلى بيت مال المسلمين.

صفحات مشرقة من تواضعه رضي الله عنه

* وها هو فاروق الأمة عمر رضي الله عنه يضرب للأمة كلها أروع الأمثال فى تواضعه.

* فها هو يخرج مع أحد الصحابة من المسجد فوجد امرأة كبيرة فى السن تجلس على الطريق فسلمت عليه فردَّ عليها السلام فقالت: هيه يا عمر... لقد رأيتك وأنت صبيٌّ صغير فى سوق عكاظ تُسمَّى عُميرًا وكنت تصارع الصبيان... ومرت الأيام حتى أصبحت أمير المؤمنين... فاتقِ الله فى الرعية فإنك ستقف بين يدى الله وسيسألك عن كل صغيرة وكبيرة... فبكى عمر.

فقال لها الصحابى: لقد تجرأتِ على أمير المؤمنين وأبكيتيه.

فقال له عمر: دعها... أما تعرف هذه المرأة؟

قال له الصحابى: لا أعرفها.

فقال له عمر: إنها خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سبع سموات فعمر - والله - أحرى أن يسمع كلامها.

وعن أنس بن مالك قال: سمعت عمر بن الخطاب يومًا، وخرجت معه حتى دخل بُستانًا، فسمعته يقول: وبيني وبينه جدار، وهو فى جوف

البستان: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخٍ، والله يا ابن الخطاب، لتتقين الله، أو ليعذبنك.

* وخرج عمر في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتًا، ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة، ذهب إلى ذلك البيت، فإذا بعجوز عمياء مُقعدة فقال: ما بال هذا الرجل يأتيك؟

قالت: إنه يتعاهدني من كذا وكذا، يأتيني بما يُصلحني ويُخرج عني الأذى.

* وقَدِم على عمر بن الخطاب وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس في يوم صائف شديد الحر، وعمر معتجر (متعمم) بعباءة يهنأ بعيرًا من إبل الصدقة (أي يطليه بالقطران) فقال: يا أحنف، ضع ثيابك وهَلُمَّ، فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة، فيه حق اليتيم، والأرملة، والمسكين، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك؟

فقال عمر: وأي عبد هو أعبد مني، ومن الأحنف؟ إنه مَن ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة وأداء الأمانة.

* وفي يوم من الأيام نادى عمر بن الخطاب: الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس وكثروا صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس، لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي القبضة من التمر والزبيب فأظل يومي وأي يوم ثم نزل، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن عبت نفسك؟ فقال: ويحك يا ابن عوف!! إني خلوتُ فحدثتني نفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك؟! فأردت أن أعرفها نفسها.

❊ ❊ ❊

حرصه على جلب الخير للأمة

أصدر عمر رضي الله عنه قانونًا يمنع غش اللبن بخلطه بالماء، ولكن هل تستطيع عين القانون أن ترى كل مخالف، وأن تقبض على كل خائن وغاش؟!

القانون أعجز من هذا؛ فإن عين الإنسان لها حدود لا تتجاوزها أما عين الله فلا يعجزها شيء فالإيمان بالله والمراقبة له هو الذى يعمل عمله فى هذا المجال.

وهنا تُحكى القصة المشهورة حكاية الأم وابنتها: الأم تريد أن تخلط اللبن طمعًا فى زيادة الربح، والبنت المؤمنة تذكرها بمنع أمير المؤمنين لهذا الأمر، فتقول الأم: وهل أمير المؤمنين يرانا؟ فترد الابنة بهذا الجواب الذى نبع من قلب مؤمن بالله، ويعلم أن الله مطلع عليه، قالت: إن كان أمير المؤمنين لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا، فما كان من عمر الذى سمع تلك المقالة من هذه الفتاة الصالحة المراقبة لله عز وجل إلا أن قام إلى أولاده، وقال: ليذهب أحدكم إلى تلك الفتاة فليتزوجها، فإنى لأرجو الله أن يخرج من أصلابها رجلاً يوحد الله به كلمة المسلمين وكان الذى توقعه عمر رضي الله عنه، فقد تزوجها ابنه عاصم، فأنجبت له بنتًا سموها ليلى وكنّوها بأم عاصم، ثم تزوجت ليلى بعبد العزيز بن مروان، فأنجبت له الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذى قاد المسلمين إلى كل خير... وهكذا تكون نتيجة المراقبة لله جل وعلا.

أمنية عُمرية

وها هو عمر بن الخطاب يتمنى تلك الأمنية العجيبة الفريدة.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: تمنّوا.

فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقه فى سبيل الله وأتصدق.

وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجداً وجوهراً فأنفقه فى سبيل الله وأتصدق.

ثم قال عمر: تمنوا.

فقالوا: ما ندرى يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح، ومعاذ ابن جبل، وسالم مولى أبى حذيفة، وحذيفة بن اليمان[١].

وحان وقت الرحيل

أصبحت الدولة الإسلامية فى عهد عمر رضي الله عنه دولة عظيمة مترامية الأطراف نعمت بالرخاء والازدهار وأنشأ عمر الدواوين والبريد ونظَّم الفيء وأمر ببناء مدن جديدة مثل: الكوفة، والبصرة، والفسطاط، وجعل لكل قُطرٍ والياً وعاملاً للصدقات وقاضيًا، ووضع للقضاء شروطًا دقيقة، مثل:

العلم بالقرآن والسنة، والاستقامة وحسن الخلق، وعدم المجاملة.

وكان عمر دائم التفكير فى رعيته وفى عِظَم مسئوليته أمام ربه يوم القيامة؛ ولذا قال لمن حوله: «لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية عامًا، فإنى أعلم أن للناس حوائج تُقطَع دونى، وأما عُمالهم فلا يرفعونها إلىَّ، وأما هم فلا يصلون إلىَّ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير على الجزيرة (العراق) فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى. . . .».

وذات يوم قام عمر من نومه ليروى للمسلمين رؤيا رآها فى نومه، فلقد رأى فى نومه كأن ديكًا نقره نقرتين، والديك عند العرب، هو الأجنبى، فقال عمر: يرزقنى الله الشهادة، ويقتلنى أعجمى[٢].

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٢٢٦) وصححه، ووافقه الذهبى.

(٢) الأعجمى: هو الرجل الذى لا يكون من العرب.

وتمر الأيام والصحابة يشعرون بالحزن والقلق الشديد بسبب تلك الرؤيا فهم يعلمون أن عمر صادق فى رؤياه ولكنهم كانوا يتمنون طول البقاء لأمير المؤمنين عمر ولو كان ذلك على حساب أعمارهم. . . ولكن آن الآوان ليفوز الفاروق بالشهادة التى بشَّره النبى ﷺ بها قبل ذلك.

فلقد اشتد غيظ الكفار والمنافقين، وزاد حقدهم وهم يرون دولة الإسلام شامخة قد عَمَّ الرخاء أرجاءها، وجيوشها تنتقل كل يوم من فتح إلى فتح فيزداد الإسلام قوة وانتشاراً ففكروا فى مؤامرة لقتل أمير المؤمنين عمر فاجتمع ثلاثة من الموالى هم: الهُرمزان الفارسى، وجُفَينة النصرانى، وأبو لؤلؤة المجوسى الذى قام بالتنفيذ.

فقد استغل أبو لؤلؤة انشغال عمر رضي الله عنه بتنظيم صفوف المسلمين فى صلاة الفجر فوقف خلفه، وبمجرد أن كبَّر عمر للصلاة تقدم أبو لؤلؤة وطعنه بخنجر وراح يطعن كل من اعترضه من المسلمين؛ حتى قتل سبعة وأصاب ستة، وبعد ذلك ألقى عليه أحد المسلمين ثوبًا أسود فوقع على الأرض فطعن نفسه بالخنجر.

وسقط عمر فأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف ليصلى بالناس وقام إليه جماعة من المسلمين فحملوه حتى أدخلوه بيته وهو مغشى عليه ينزف جرحه، فلما تنبَّه سأل: أصلَّى الناس؟ فقالوا: نعم، فقال رضي الله عنه: لا حظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة، ثم دعا بماء فتوضأ وصلى ودماؤه تنزف من جرحه ثم سأل عمَّن طعنه فقالوا: أبو لؤلؤة المجوسى فقال: الحمد لله الذى لم يجعل منيتى (وفاتى) بيد رجل يدَّعى الإسلام.

ثم جعل عمر الخلافة شورى فى الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، ورأى عمر أن هؤلاء الستة أحق الناس بهذا الأمر، وهم: عثمان وعلىّ وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد

الله، وسعد بن أبي وقاص. ثم أرسل إلى أم المؤمنين عائشة يُقرئها السلام ويستأذنها أن يُدفَن مع صاحبيه - رسول الله ﷺ وأبي بكر -، فأذنت له، فسعد بذلك وظل يردد ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾. وأوصى من حوله قائلاً: أوصيكم بكتاب الله فإنه لن تضلوا ما اتبعتموه وأوصيكم بالمهاجرين والأنصار والأعراب وأهل الذمة.

وفي يوم الأحد صبيحة هلال شهر المحرم سنة (٢٤هـ) حُمل الفاروق ليُدفن بجوار النبي ﷺ وأبي بكر بعد أن ملأ الأرض رحمة وعدلاً[١].

وهكذا رحل فاروق الأمة الأكبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ملأ الدنيا زهداً وعدلاً ورحمة.

مات الرجل الذي قال عنه النبي ﷺ: «لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمر».

مات أحد المبشرين بالجنة.

مات الرجل الذي كان إسلامه فتحًا وكانت هجرته نصرًا وكانت ولايته عدلاً.

ولا نملك عند وداع هذا الصحابي الجليل إلا أن نقول له: جزاك الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فكم تعلمنا من سيرتك العطرة التي فاح عبيرها في الدنيا كلها وكم تعلمنا من مواقفك الخالدة التي سطَّرتها على جبين التاريخ بسطور من النور. فلن ننساك أبدًا ما دامت أرواحنا في أبداننا.

* رضي الله عن عمر بن الخطاب وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

* * *

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٣٩- ٤١).

عثمان بن عفان رضي الله عنه

عثمان بن عفان رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابى الجليل.

إنه الرجل الذى يندر وجوده فى كل العصور والأزمان.

إنه الرجل الذى تستحى منه ملائكة الرحمن.

إنه الرجل الذى فاحت سيرته بريح الحياء والزهد والورع والجود والكرم والبذل والتضحية والطاعة والخشية.

إنه الرجل الذى اشترى بئر رومة ليشرب المسلمون من مائها.

إنه الرجل الذى جهز جيش العُسرة.

إنه الرجل الذى بذل نفسه وماله وكل ما يملك لنُصرة هذا الدين ولمواساة إخوانه المؤمنين.

إنه الصحابى الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

من هنا نبدأ

لقد وُلد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد عام الفيل بستة أعوام أى أنه أصغر من النبى ﷺ بستة أعوام وذلك لأن النبى ﷺ وُلد فى عام الفيل.

ونشأ عثمان نشأة طيبة مباركة فلقد تربَّى على مكارم الأخلاق فلم يسجد لصنمٍ أبدًا ولم يشرب الخمر فى الجاهلية ولم يشارك شباب مكة فى أى نوع من اللهو والمجُون الذى كان منتشرًا فى ذلك الوقت.

ولم يقترف فاحشة قط ولم يظلم إنسانًا قط.

ولذا كان عثمان هو فتى قريش الأول... فلقد كان شريف النسب فى قومه كريم الأخلاق غنيًّا كريمًا وكان أهل قريش يحبونه حبًا جمًا فلقد كان معروفًا بصدقه وأمانته ووفائه.

وكان قد تعلَّم القراءة والكتابة وانشغل بعد ذلك بالتجارة فكان معروفًا بحسن الخلق ولين المعاملة والصدق والأمانة وكان من شدة حب قريش له. كانت المرأة من قريش إذا أرادت أن تداعب طفلها تقول له:

أُحبك والرحمن
حُبَّ قريشٍ لعثمان

*ولما كان معروفًا بالصدق والأمانة وحسن الخلق أقبل الناس على تجارته فربحت تجارته وصار بعد ذلك من أغنياء مكة الذين يُضرب بهم المثل فى الصدق والأمانة والجود والإيثار.

إسلامه رضي الله عنه

ولقد كان عثمان بن عفان رضي الله عنه تربطه صداقة وصلة وثيقة بأبى بكر الصديق قبل الإسلام... ولا عجب فى هذا فالأرواح جنودٌ مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف... فقد كان أبو بكر وعثمان من أقرب الناس شبهًا بأخلاق الرسول ﷺ.

وكانت أرض الجزيرة قد امتلأت بالشرك والظلم والكثير من العادات الجاهلية... فكان عثمان يشتاق من أعماق قلبه لطوق النجاة الذى يُخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وما هى إلا فترة يسيرة حتى بُعث الحبيب ﷺ وكان عثمان رضي الله عنه من السابقين الذين أسلموا قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم.

ولإسلام عثمان بن عفان قصة ما زال يرويها الرواة.

ذلك أنه حين بلغه فى الجاهلية أن محمد بن عبد الله زوَّج ابنته رُقية من ابن عمها عتبة بن أبى لهب ندم أشد الندم لأنه لم يسبق إليها... ولم يحظَ بخُلقها الرفيع ونسبها الكريم فقد كانت من بيت عُرف بمكارم الأخلاق فذهب عثمان إلى أهله مهمومًا لأنه كان يتمنى أن يتزوج من رقية بنت محمد بن عبد الله الذى كان معروفًا بين قومه بأنه الصادق الأمين، وبينما كان عثمان جالسًا مع أهله إذ دخلت عليهم خالته سُعدى بنت كُريز وكانت امرأة كبيرة فى السن عاقلة فأخذت تكلمه وتكشف عنه تلك الهموم ثم بشَّرته بظهور نبى يُبطل عبادة الأصنام ويدعو الناس إلى عبادة الواحد الديَّان... فبشرته بأنه سيكون من أتباع هذا النبى ﷺ وأنه سيتزوج ابنته.

فظل عثمان يفكر فيما قالته خالته، ثم ذهب إلى صديقه وحبيبه أبى بكر الصديق وأخبره بما قالته خالته.

فقال له أبو بكر: صدقت خالتك فيما أخبرتك وبشرتك به.

فلقد بُعث النبى ﷺ برسالة السماء ليدعو الناس إلى ترك الأصنام وإلى عبادة الرحمن جل وعلا وإنك يا عثمان رجل عاقل لا يخفى الحق عليك... وإنك تعلم أن قومنا قد ضلوا يوم أن عبدوا تلك الأصنام التى لا تنفع ولا تضر... والتى صنعوها بأيديهم من الحجارة.

فقال عثمان: ومن هذا النبى يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: إنه محمد بن عبد الله ﷺ... إنه الصادق الأمين.

فقال عثمان: فهل لك أن تصحبنى إليه؟

فقال: نعم... ومضينا إلى النبى ﷺ فلما رآنى قال: «**أجب يا عثمان داعى الله... فإنى رسول الله إليكم خاصة، وإلى خلق الله عامة...**».

قال عثمان: فو الله ما إن ملأت عينى منه، وسمعتُ مقالته؛ حتى

استرحتُ لهُ، وصدقت رسالتهُ ثم شهدتُ أن لا إله إلا الله. . . وأن محمداً عبده ورسوله.

زواج عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ

ولم يؤمن بالنبى ﷺ أحدٌ من قومه بنى هاشم حتى هذه اللحظة غير أنه لم يكن فيهم أحدٌ يعلن العداوة على النبى ﷺ غير عمه (أبى لهب).

فقد كان هو وزوجته (أم جميل) من أشد الناس عداءً لرسول الله ﷺ فكان أبو لهب يحذر الناس منه فى كل مكان وكانت أم جميل تؤذى النبى ﷺ وتلقى الشوك فى طريقه ﷺ.

فأنزل الله فيه وفى امرأته: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (١).

فازداد أبو لهب حقداً وحسداً للنبى ﷺ وجلس هو وزوجته أم جميل يفكران فى إيذاء النبى ﷺ فقررا أن أفضل شىء هو إيذاء النبى ﷺ فى ابنته رقية فأمرا ابنهما (عُتبة) بأن يُطلِّق زوجته رقية بنت محمد ﷺ فطلقها ولم يكن قد دخل بها، وكان هذا من إكرام الله لرسول الله ﷺ وابنته رقية.

وما إن سمع عثمان بخبر طلاقها حتى كاد أن يطير قلبه من شدة الفرح فأسرع إلى بيت رسول الله ﷺ وطلب منه أن يزوجه من ابنته رقية فوافق النبى ﷺ وزوَّجه من رقية وقامت أمها خديجة رضي الله عنها وزفَّتها إلى زوجها عثمان بن عفان وكان عثمان من أجمل الناس وجهًا وكانت رقية تشبه عثمان فى الجمال والحياء فكان الناس يقولون:

---

(١) سورة المسد.

أحسنُ زوجين رآهما إنسان
رُقيةُ وزوجها عثمان

صبره على الإيذاء

وما أن علم المشركون بخبر إسلام عثمان بن عفان حتى تحوَّل حُبهم له إلى كراهية شديدة فأذاقوه من العذاب ألوانًا.

فلقد علموا أن إسلام عثمان سيكون سببًا فى إسلام أكثر شباب مكة الذين كانوا يحبونه حبًا جمًا.

* وكان أكثر الناس إيذاءً لعثمان هو عمه (الحَكَم بن أبى العاص) الذى كان يربطه ويمنع عنه الطعام ويقول له: لا تزال على ذلك حتى تترك دين محمدٍ وترجع إلى دين الآباء والأجداد.

فيأبى عثمان أن يعود إلى الشرك... فاستشاط عمه غضبًا فكان يلفّ عثمان فى الحصير ثم يوقد النار من تحته حتى يكاد عثمان أن يختنق من الدخان.

وكان كلما ازداد عمه تعذيبًا له كلما ازداد عثمان تمسكًا بدين الله جل وعلا حتى يئس منه عمه فتركه ولم يستطع أن يصده عن دينه.

الفرار إلى الحبشة

ولما علمت قريش أن عم عثمان بن عفان لم يستطع أن يصده عن الإسلام وأن يرده إلى عبادة الأوثان ازدادوا حقدًا وكرهًا لعثمان فآذوه هو وزوجته رقية أشد الإيذاء.

فلما رأى النبى ﷺ ذلك أشار على أصحابه بالهجرة إلى بلاد الحبشة فإن فيها ملكًا لا يُظلَم عنده أحد.

فهاجر عثمان وزوجته رقية إلى الحبشة وكان النبى ﷺ حزينًا لفراق ابنته وزوجها وكانت خديجة تبكى لفراق ابنتها.

وكان عثمان وزوجته رقية أول زوجين يهاجرا بعد نبى الله لوط عليه السلام... وظل عثمان ورقية فى بلاد الحبشة حتى وصلت إليهما الأخبار بأن أهل مكة قد أسلموا فعادا إلى مكة فوجدا أن أهل مكة ما زالوا على الشرك... فلما علمت قريش بعوده عثمان وزوجته رقية سلطوا عليهما أشد أنواع الإيذاء.... فما كان من عثمان إلا أن صبر هو وزوجته واحتسبا ذلك عند الله جل وعلا.

وبعد فترة قصيرة نامت أمنا خديجة على فراش الموت وفاضت روحها إلى بارئها جل وعلا وحزنت رقية حزنًا شديدًا على موت أمها وحزن عثمان لوفاتها حزنًا شديدًا.

* ولكن سرعان ما عوضهما الله خيرًا فقد أنجبت له رقية طفلاً جميلاً سمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله.

الهجرة إلى المدينة

ولما استمرت قريش فى تعذيبها وإيذائها للنبى ﷺ وأصحابه أذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة فهاجر عثمان وزوجته رقية وبعد فترة يسيرة هاجر النبى ﷺ خلفهما وعاشوا جميعًا أسعد أيام العمر فى صحبة النبى ﷺ وفى ظل الأمن والأمان فى المدينة المنورة.

غزوة بدر

وبعد فترة يسيرة من الهجرة إلى المدينة مرضت رقية بنت رسول الله ﷺ مرضًا شديدًا... وتمر الأيام وتأتى غزوة بدر ونادى منادى الجهاد يا

خيل الله اركبى يا خيل الله اثبتى. . . وتجهَّز عثمان للخروج إلى الجهاد فى سبيل الله جل وعلا ولكن رقية كانت قد ازدادت مرضًا وبخاصة بعد وفاة ابنها عبد الله. . . فما كان من النبى ﷺ إلا أن ترك عثمان بجوار زوجته رقية ليقوم على رعايتها فى فترة مرضها. . . وخرج النبى ﷺ وأصحابه لغزوة بدر وكتب الله النصر للمسلمين. . . ولما قام النبى ﷺ بتوزيع الغنائم أعطى عثمان نصيبه من الغنائم وعدَّه النبى ﷺ من أهل بدر الذين حضروا هذه الغزوة.

وعاد المسلمون من بدر وهم فى قمة الفرح لهذا النصر الكبير ولكن ما إن وصل المسلمون إلى المدينة حتى علم النبى ﷺ بوفاة ابنته رقية رضي الله عنها وهكذا اختلطت الفرحة بالدموع والأحزان.

عثمان يتزوج أم كلثوم بنت النبى ﷺ

وظل عثمان فترة بلا زوجة. . . ولما تأيمت حفصة بنت عمر بن الخطاب - أى مات زوجها - ذهب عمر بعد مرور عدتها ليعرضها على عثمان لكى يتزوجها فرفض عثمان بأسلوبٍ رقيق فحزن عمر وذهب إلى النبى ﷺ يشتكى إليه رفض عثمان لابنته فتبسم النبى ﷺ وقال لعمر: يتزوج حفصة من هو خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان من هى خيرٌ من حفصة.

فتزوج النبى ﷺ من حفصة بنت عمر رضي الله عنها.

وتزوج عثمان من أم كلثوم بنت النبى ﷺ فقد ظلت بلا زوج منذ أن طلقها ابن أبى لهب وكان لم يدخل بها فكأنما ادخرها الله لعثمان لكى تكون زوجة له.

* ولما تزوجها عثمان أصبح يُلقَّب بذى النورين لأنه تزوج بابنتى رسول الله ﷺ ولم يتزوج أحدٌ بابنتى نبى إلا عثمان بن عفان.

وعاش عثمان أسعد حياة مع أم كلثوم بنت النبى ﷺ حتى تجددت الأحزان مرة أخرى وتوفيت أم كلثوم فى العام التاسع للهجرة فحزن عثمان حزنًا شديدًا لأنه يعلم أن النبى ﷺ ليس عنده بنت أخرى ليتزوجها. . . وأحسَّ النبى ﷺ بآلام عثمان فقال: «لو كان عندى ثالثة لزوجتها عثمان»[١].

جهاده فى سبيل الله (جل وعلا)

ولقد شهد عثمان بن عفان المشاهد والغزوات كلها مع رسول الله ﷺ فيما عدا غزوة بدر كما ذكرنا.

ولم يتأخر عثمان لحظة واحدة عن البذل والعطاء لخدمة هذا الدين العظيم.

صور مشرقة من بذله وإنفاقه

ولقد كان عثمان بن عفان فارسًا فى ميدان البذل والجود والإنفاق فقد جعل ماله كله لخدمة الإسلام والمسلمين منذ أن أسلم وإلى أن فاضت روحه إلى بارئها جل وعلا.

* فأما عن الصورة الأولى لبذله وإنفاقه فإنه لما هاجر أصحاب الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة كانوا يشكون من قلة الماء العذب فى المدينة وكانت أعذب بئر يملكها رجل يهودى وكان يبيع الماء للمسلمين بثمنٍ باهظ وكانت البئر اسمها بئر رومة فقال النبى ﷺ: «من يشترى لنا بئر رومة وله الجنة»[٢]. فما كان من عثمان إلا أن ذهب إلى ذلك الرجل اليهودى وطلب منه أن يبيع له بئر رومة فأبى ذلك الرجل اليهودى إلا أن يبيع نصف البئر لعثمان باثنى عشر ألف درهم وهو مبلغ كبير جدًا فما كان من عثمان إلا أن ذهب وأحضر المال وأعطاه لذلك الرجل اليهودى ليشترى نصف البئر على

---

(١) رواه ابن حنبل فى فضائل الصحابة ج١/ ص٤٨٢ ح٧٨٢.

(٢) صحيح: رواه البخارى معلقًا فى كتاب المساقاة، والترمذى موصولاً (٣٦٩٩) كتاب المناقب.

أن يكون البئر يومًا للمسلمين ويومًا لذلك الرجل اليهودى.

وفى يوم المسلمين كان المسلمون يشربون ويدخرون الماء لليوم التالى فأصبح اليهودى لا يجد من يبيع له الماء فى اليوم التالى فاضطر لبيع النصف الثانى لعثمان بن عفان بثمانية آلاف درهم فأصبحت البئر خالصة للمسلمين يشربون من مائها العذب كيفما شاءوا.

* وأما عن الصورة الثانية لبذله وإنفاقه فكانت عندما طلب النبى ﷺ من المسلمين أن ينفقوا من أجل توسيع المسجد فقال ﷺ: «**من يوسع لنا مسجدنا هذا وله بيت فى الجنة**»(١) فما كان من عثمان إلا أن قام بشراء الأرض المجاورة للمسجد بعشرين ألف درهم وأضافها إلى المسجد.

* وأما عن الصورة الثالثة فكانت يوم أن دعا النبى ﷺ أصحابه لتجهيز جيش العُسرة الذى سيخرج لغزوة تبوك ليحارب الروم الذين كانوا فى ذلك الوقت أكبر دولة.

فجاء عمر بنصف ماله وجاء أبو بكر بماله كله فلما سأله النبى ﷺ يا أبا بكر ماذا تركت لأهلك وأولادك؟

قال له: تركت لهم الله ورسوله.

وقام النبى ﷺ يخطب فى الناس ليحضهم على الصدقة.

فجاء عثمان وقال له: يا رسول الله علىَّ مائة بعير بجهازها.

ثم قام النبى ﷺ يخطب فى الناس فجاء عثمان وقال: يا رسول الله علىَّ مائة أخرى وفى المرة الثالثة جاء عثمان وقال: يا رسول الله علىَّ مائة ثالثة ثم جاءه للمرة الرابعة ووضع فى حجره ألف دينار فقال ﷺ: «**ما ضرَّ عثمان ما**

(١) أخرجه أحمد (١/٥٩)، والنسائى (٣٦٠٩)، والدارقطنى (٤/١٩٨)، وابن أبى عاصم (٢/٥٩٥)، والضياء (١/٥٢٨).

عمل بعد هذا أبدًا»[١] ثم قال: «اللهم إني أمسيت راضيًا عن عثمان فارضَ عنه».

* وأما الصورة الرابعة... فبعد حجة الوداع أمر رسول الله ﷺ بتجهيز جيش لإنفاذه إلى القبائل المجاورة لأرض الروم فجاء عثمان بمائة وتسعة وأربعين بعيرًا بأحمالها ثم جاء بستين فرسًا ولكن الرسول ﷺ مرض واشتد عليه المرض فانتظر الجيش ولم يخرج إلا بعد وفاة الرسول ﷺ.

* وأما عن الصورة الخامسة لبذله وإنفاقه... فإنه بعد وفاة النبى ﷺ حدث قحطٌ شديد فى زمن أبى بكر فقال لهم أبو بكر: إن شاء الله لا تُمسون غدًا حتى يأتيكم الفرج من عند الله.

فلما كان صباح الغد قَدِمت قافلة كبيرة لعثمان وكانت مُحمَّلة بكل أصناف الطعام فجاء التجار إلى عثمان وقالوا له: ندفع لك ضعف الثمن.

فقال: لا.

قالوا: ندفع لك ضعفى الثمن.

فقال: لا.

فقالوا: ندفع لك خمسة أضعاف الثمن ولا نعلم تاجرًا فى أرض الجزيرة يعطى أكثر من هذا.

قال: بل لقد وجدت من يعطينى عشرة أضعاف الثمن وبعتها له.

قالوا: بعتها لمن؟

قال: بعتها لله الذى يجزى على الحسنة بعشرة أضعافها وتصدقت بتلك القافلة على فقراء أهل المدينة بلا ثمنٍ ولا حساب.

كان رضي الله عنه يعتق كل جمعة عبدًا ويحرر رقبة

وما كان البذل الذى يبذله رضي الله عنه ليقف أبدًا عند تجهيز جيش العُسرة أو

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١ - ٣٧) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٢٧).

حفر بئر رومة، بل لقد كان دومًا وأبدًا مواسيًا لكل مسلم فى كُربته ومُعينًا له فى محنته ومُعينًا له فى فقره وحاجته.

يمضى رضي الله عنه مع نفسه موثقًا لا يُخلفه طوال حياته: هو أن يعتق كل جمعة عبدًا ويحرر رقبة.. يشترى العبد من سيده بأى ثمن، ثم يهبه حريته مبتغيًا وجه ربه الأعلى[١].

حياء عثمان رضي الله عنه

لقد كان عثمان قمة فى الحياء حتى قال عنه النبى ﷺ: «أحيا أمتى عثمان بن عفان».

* وها هى أمنا عائشة تروى لنا هذا المشهد العجيب وتقول: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا فى بيتى كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوَّى ثيابه فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال: «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة»[٢].

* **ولذا كان الحسن البصرى رحمه الله يخبر عن عثمان ويقول:** كان عثمان فى بيته ليس معه أحد، والباب عليه مُغلق، ولم يكن يضع ثوبه ليفيض عليه الماء، فكان الحياء يمنعه من ذلك.

الحبيب ﷺ يبشره بالشهادة وبالجنة

وها هى البشرى بالشهادة وبالجنة يزفُّها إليه الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.

---

(١) خلفاء الرسول/ أ. خالد محمد خالد (صـ ٢٤٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠١) كتاب فضائل الصحابة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد»(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «أن النبي ﷺ دخل حائطًا - بستانًا - وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجلٌ يستأذنُ فقال: ائذن له وبشِّره بالجنة فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال له: ائذن له وبشِّره بالجنة فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذنُ فسكت هنيهة ثم قال: ائذن له وبشرهُ بالجنة على بلوى ستصيبه فإذا عثمان بن عفان»(٢).

عبادته رضي الله عنه

ولقد كان عثمان رضي الله عنه قمة في العبادة فكان يُكثر من الصلاة والصيام والذكر وقراءة القرآن فقد كان يحفظ القرآن كله، بل وستعجب عندما تعلم أن عثمان كان يصلي كل يوم بالقرآن كله في ركعة الوتر.

ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾(٣).

قال: هو عثمان بن عفان.

خوفه وخشيته رضي الله عنه

كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر يبكي حتى يبلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟ فقال: إني سمعت رسول

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٧) كتاب فضائل الصحابة.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٩٥) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٠٣).
(٣) سورة الزمر: الآية: (٩).

الله ﷺ يقول: «القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه، فما بعده أيسر، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد».

قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه»(١).

وعن عبد الله بن رومى، قال: «بلغنى أن عثمان رضي الله عنه قال: «لو أنى بين الجنة والنار، ولا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير».

موقفه عند وفاة أبى بكر

وتمر الأيام ويموت الحبيب المصطفى ﷺ ويحزن عليه عثمان بن عفان حزنًا شديداً لكن عزاء عثمان أن النبى ﷺ قد مات وهو راضٍ عنه، ثم أصبح أبو بكر خليفة على المسلمين بعد وفاة النبى ﷺ وكان يحب عثمان كثيراً ويعرف قدره ومكانته وكان يُقربه ويستشيره فى كثيرٍ من الأمور التى تخص شئون المسلمين.

ولما دنا أجل الصديق رضي الله عنه وقد أكرمه الله عز وجل بالقضاء على فتنة المرتدين وكثرت الفتوحات الإسلامية فى عهده وساق الله على يديه الخير الكثير للإسلام والمسلمين فأحسَّ أنه من الأفضل أن يستخلف رجلاً من بعده يكمل مسيرة الإصلاح ونشر الدعوة ويأخذ بأيدى الناس إلى جنة الرحمن جل وعلا.

ولا شك أن اختيار هذا الرجل قبل وفاة الصديق سيُجنب المسلمين محنة الاختلاف على الخليفة القادم.

وهنا جاء القرار الحاسم من الصديق رضي الله عنه فدعا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال اكتب:

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٨ - ٢٣) وابن ماجه (٤٢٦٧) كتاب الزهد وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٣٤٦١).

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب... إنى استخلفت عليكم....

ثم غُشى عليه.

فكتب عثمان: إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب.

فلما أفاق أبو بكر قال: اقرأ علىّ، فقرأ عليه، فكبَّر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفس فى غشيتى.

قال: نعم.

قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله.

وأقرها أبو بكر رضي الله عنه وأمره أن يخرج على الناس بالكتاب فبايعوه لمن فيه قد علموا أنه عمر.

مقتل أمير المؤمنين عمر
ومبايعة عثمان بالخلافة

* ولما تولى عمر الخلافة كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعلى بن أبى طالب من أقرب الناس إليه... وكان يستشيرهم فى أدق الأمور.

* وتمر الأيام ويُقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما طُعن عمر بن الخطاب أوصى أن يكون الأمر من بعده شورى فى الستة الذين مات النبى ﷺ وهو راضٍ عنهم وهم: عثمان، وعلى، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة ابن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وفوَّض أهل الشورى عبد الرحمن بن عوف بعد أن خلع نفسه من بين المرشحين للخلافة فى اختيار أحدهم بعد مشاورة المسلمين... أخذ عبد الرحمن يوازن بين

هؤلاء الخمسة وانتهى إلى انتخاب فاز فيه عثمان برأى طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص ثم أخذ عبد الرحمن يستشير الأمة من ذوى الرأى من المهاجرين والأنصار وعامة الناس حتى أخذ رأى النساء والولدان والركبان من الأعراب الواردين إلى المدينة؛ فرأى الناس يختارون عثمان لما له من مكانة فى قلوب الأمة الإسلامية ومحبة الناس له وميلهم إليه، ورغبتهم فى ولايته، ورضائهم بحكمه وخلافته عليهم.

فلما رأى عبد الرحمن ذلك بايع عثمان ثم تبعه علىّ وباقى الخمسة أصحاب الشورى ثم بايعه الناس بيعة عامة فى المسجد[1].

خلافته الراشدة

ولما تولى عثمان الخلافة بعد مقتل عمر كان حريصًا على أن يسير على نهج أبى بكر وعمر فى العدل والرحمة.

فكان رحيمًا بالمسلمين يتفقد أحوالهم ويسأل عنهم ويعرف مشكلاتهم ويسعى لراحة الناس من حوله فإن غاب أحد اطمأن عليه وكان متواضعًا مع الفقراء والمساكين وكان يسير فى الأسواق ليسأل الناس عن أخبارهم وأسعار طعامهم وكان يزور المرضى وينام فى المسجد أحيانًا فيقوم وقد أثَّر الحصير فى جنبه كما حدث للنبى ﷺ.

وفى خلافته كثر الناس بالمدينة واتسعت وكثر المال واغتنى الناس فى عهده حتى كان المنادى يأتى إليهم ويناديهم: أيها الناس هَلُمُّوا إلى عطاياكم أيها الناس أقبلوا على أرزاقكم هيا إلى السمن والعسل فيذهبون ويأخذون السمن والعسل والقماش والمسك والزبيب حتى امتلأت بيوت المسلمين بالخيرات ولم يكن فى ذلك الوقت مؤمن يخاف مؤمنًا وإنما كان المؤمن يألف

(١) الخلفاء الراشدون (ص ٥٠).

أخاه المسلم ويواده وينصره ويحبه لله.

* وعلى الرغم من أن عثمان كان من أكثر الناس بعيراً وشياهًا قبل الخلافة إلا أنه كان بعد الخلافة ينفق كل أمواله على الناس حتى لم يبق له غير بعيرين حَجَّ عليهما إلى بيت الله الحرام.

* ولقد ازدادت مساحة البلاد الإسلامية في عهده وفتح الله على المسلمين بلادًا كثيرة.

صفحة مشرقة من عدله ورحمته

وها هي صفحة ناصعة البياض من عدله ﷺ:

إنه عثمان الرحيم الذي تشعُّ الرحمة في حياته وتكون نبراسًا لكل تصرفاته يغضب على خادم له يومًا فيفرك أذنه حتى يوجعه، ثم سرعان ما يدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه فيفرك أذنه ويأبى الخادم ويأمره في حزم فيطيع: «اشدد يا غلام، فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة».

إقامة عثمان ﷺ الحدود على القريب والبعيد

من عظام الأعمال وكبارها في خلافته ظهور حدود الله تعالى.

فهذا الوليد بن عقبة من أقرب الناس إليه، إنه أخوه لأمه، ومع ذلك لم تأخذه شفقة عليه ولا رحمة.

* وكان عثمان يصلي طوال الليل ويتهجد وكان لا يوقظ خدمه أبدًا على الرغم من أنه شيخ كبير في السن يحتاج لمن يساعده فإذا قيل له: لماذا لا توقظ خادمك ليعينك على وضوئك يقول: نستخدمهم بالنهار وندعهم بالليل ليستريحوا فيه.

الفتوحات الإسلامية فى عهده

واستمرت حركة الفتوحات الإسلامية فى عهد عثمان ففُتحت (همذان) واختار عثمان قادة أكفاء شجعانًا، وتوالت الانتصارات وانتشر الإسلام على أيديهم ففتح أبو موسى الأشعرى مدينة الرى، وفتح الوليد بن عقبة بلاد آذربيجان وأرمينية، وفتح عبد الله بن أبى السرح مدينة إفريقية وفتح سعيد ابن العاص مدينة طبرستان وغزا شمال فارس وفتح عبد الله بن عامر مدينة خُراسان، وأطراف بلاد فارس ومدينتى سجستان وكرمان وفُتحت مدن سابور وأرجان وأصبهان والحبشة وفتحت جزيرة قبرص ومالطة.

كما أمَّن عثمان حدود الدولة الإسلامية من غارات الروم وألحقت جيوشه بهم الهزائم المتعددة التى جعلتهم يتوقفون عن الإغارة على المدن الإسلامية المجاورة لهم ولأول مرة فى تاريخ الأمة الإسلامية أُنشئت البحرية الإسلامية فقد أذن عثمان لواليه على الشام معاوية بن أبى سفيان بالغزو البحرى، كما سمح لواليه على مصر أيضًا عبد الله بن أبى السرح بالغزو البحرى وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد رفض ذلك خوفًا على المسلمين الذين لم يكن لهم وقتها خبرة بالبحر واشترط عثمان على قادة جيوشه إلا يُرغم أحدًا على الغزو فى البحر فمن اختار الغزو طائعًا حُمِل وأُعين.

وقد حقق الأسطول البحرى الإسلامى انتصارات كبيرة كمعركة ذات الصوارى وهزم الأسطول البيزنطى أكبر الأساطيل البحرية فى العالم آنذاك، كما فتح بعض جزر البحر الأبيض المتوسط فدخلها الإسلام[1].

جمع القرآن فى عهده

ولعل من أعظم الأعمال التى قام بها عثمان بن عفان هى جمع القرآن فى مصحف واحد.

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص ٥٣- ٥٤).

فقد كان عدد المسلمين يزداد يومًا بعد يوم وكان القرآن قد أُنزل على النبى ﷺ على سبع قراءات وكان غير العرب ينطقون القرآن بطريقة مختلفة تمامًا عن نطق العرب فخشى عثمان من أن تختلف الأمة على القرآن وبخاصة بعدما قدم عليه الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان من سفرٍ فقد كان يجاهد فى أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فرأى اختلاف الناس فى القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرِك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القُرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رَدَّ عثمان الصُّحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق[1].

توسيع المسجد النبوى الشريف والمسجد الحرام

ولما رأى عثمان ازدحام الناس فى المسجد النبوى والمسجد الحرام أصدر قراراً بتوسيع المسجدين حتى يتسع لأكبر عددٍ من المصلين وذلك من باب التيسير على الناس.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٩٨٧) كتاب فضائل القرآن عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

اتساع الدولة الإسلامية فى عهده

وقد أصبحت الدولة الإسلامية على عهد عثمان أعظم دولة فى العالم، وبلغ الإسلام فى خلافته مشرق الأرض ومغربها وامتدت دولة الإسلام من السند فى الشرق إلى إفريقية فى الغرب، ومن القوقاز فى الشمال إلى الحبشة فى الجنوب غير جزر البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر الذى أصبح بحيرة إسلامية.

بداية الفتنة ومقتل عثمان

وعاش المسلمون ينعمون بالأمن والاستقرار حتى أصبح فى زمانه لكل نفس مسلمة راتب من بيت مال المسلمين إلى أن ظهرت مجموعة من المنافقين والحاقدين على دولة الإسلام فتآمرت على هدمه وتشويه مبادئه وإثارة الخلافات، وبدأت الفتنة بقيادة رجل يهودى تظاهر بالإسلام يُسمَّى عبد الله بن سبأ الذى بدأ هو وأتباعه الكيد للإسلام وأهله، فأخذوا يعيبون على خليفة المسلمين عثمان أنه استعان بأقربائه من بنى أمية مع أن أقرباءه الذين استعان بهم كان قد استعملهم النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وقد أظهروا كفاءة فى الحكم مثل: معاوية والى الشام وهو من كُتَّاب الوحى للنبى ﷺ، وعبد الله بن أبى سرح والى مصر، وعبد الله بن عامر والى البصرة ثم قام هؤلاء المتآمرون بنشر دعوى كاذبة وهى أن عثمان اغتصب الخلافة من الصحابى الجليل على بن أبى طالب مع أن عليًّا كان من أول من بايع عثمان بالخلافة.

أخذ عبد الله بن سبأ ينتقل فى الجزيرة العربية لنشر سمومه وأكاذيبه فلم يجد أُذنًا مُصغية؛ فانتقل إلي الشام فطُرد منها، فانتقل إلى الكوفة، وهى معروفة بعصيان أهلها وكثرة شكواهم من ولاتهم، فوجد له فيها أتباعًا، وانطلقت منها شرارة الفتنة وتحققت نبوءة النبى ﷺ حينما أشار إلى شرق

المدينة وقال: «ألا إن الفتنة ها هنا».

ثم استقر ابن سبأ فى مصر وأخذ ينظم مؤامراته ضد عثمان ويذيع ما زعمه من المظالم فى البلدان المختلفة، ويحث الناس على التوجه إلى المدينة المنورة لخلع عثمان رضي الله عنه وطلبوا منه أن يعتزل الخلافة؛ فأبى عثمان رضي الله عنه فقد عَهِد النبى إليه أن لا يخلع نفسه عن الخلافة؛ إذ قال له ﷺ يومًا: «يا عثمان عسى الله أن يُقمِّصك قميصًا من بعدى (يقصد الخلافة)؛ فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه»[1] قال ذلك ثلاثًا.

واستمر حصار دار عثمان أكثر من أربعين يومًا، وكان عثمان خلالها شجاعًا هادئًا صابرًا، وعندما جاءه الصحابة ليحاربوا لرفع الحصار عن داره؛ أمرهم بعدم الحرب وطلب منهم لزوم بيوتهم، واشتد الحصار عليه ومنع عنه المتآمرون الزيارة وحرموه وأهل بيته من الطعام والشراب وكان على رضي الله عنه يزاحمهم حتى تقع عمامته ليوصل الماء إليه وإلى أهله ثم جاءه زيد بن ثابت قائلاً: هذه الأنصار كلها بالباب إن شئت نكون أنصار الله مرتين فقال رضي الله عنه: أما قتال فلا.

وأرسل علىٌّ إليه: إن معى خمسمائة دارع (فارس) فأذن لى فأمنعك من القوم، فإنك لم تفعل شيئًا يُستحَلُّ به دمك. فأجابه عثمان: جُزيت خيرًا ما أحب أن يهراق دم فى سبيلى.

وألحَّ عليه الصحابة بعد أن تجمع المهاجرون والأنصار وأبناؤهم أن يأذن لهم فى جهاد المتآمرين، فقال رضي الله عنه: أعزم (أقسم) على من كانت لى عليه طاعة ألا يقاتل.

وضرب عثمان رضي الله عنه المثل فى تضحيته بنفسه فداءً للأمة الإسلامية ومن أجل حقن دماء المسلمين وكبار الصحابة، ولحفظ كيان الأمة وعدم تفرقها.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٥ ـ ٣٧٠) كتاب المناقب، وابن ماجه (١١٢) فى المقدمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (١١٧٢).

ويطل عثمان يومًا من داره على المحاصرين يخطبهم ويُذكرهم بمواقفه ويقول: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على جبل أُحد ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فقال ﷺ: «اثبت أُحد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»[١] قالوا: اللهم نعم، قال: الله أكبر، شهدوا لى ورب الكعبة أنى شهيد».

ثم قال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله نظر فى وجوه القوم فقال: «من يجهز هؤلاء غفر الله له» يعنى جيش العسرة، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالاً ولا خطامًا؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد».

ثم قال: «أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبى ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من حفر رومة (البئر) فله الجنة فحفرتُها؟ ألستُم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته؟ قال: فصدَّقوه بما قال[٢].

ويخبر عثمان من حوله أنه رأى النبى ﷺ فى النوم ورأى أبا بكر وعمر وأنهم قالوا له: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، وكان عثمان رضي الله عنه صائمًا فترة حصاره ثم دعا رضي الله عنه بمصحف ففتحه وأخذ يقرأ فيه.

ويتسلق المتآمرون سور الدار، ويتكاثرون على عثمان وتحاول زوجه الدفاع عنه فتُقطع أصابعها، ويضربونه بسيوفهم وهو يقول: «بسم الله توكلت على الله سبحان الله».

وتتساقط قطرات دمه الشريف على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٥) كتاب المناقب.

(٢) الخلفاء الراشدون (ص ٥٧ - ٦٠) بتصرف.

وفى اليوم الثالث لاستشهاده ﷺ حمله المسلمون بعد صلاة المغرب ليُدفن بالبقيع وقد ناهز الثمانين عامًا من عمره[١].

إن الله يدافع عن الذين آمنوا

إن الله عز وجل تكفَّل لأوليائه المؤمنين بالدفاع عنهم فى حياتهم، بل وبعد موتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[٢].

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب...»[٣].

وها هى صورة مشرقة من دفاع الله عن عثمان ﷺ بعد موته.

هذا غير العذاب الذى سيلاقيه قاتلوه يوم القيامة عند ربهم.

عن أبى قلابة قال: «كنت فى رفقة بالشام، وسمعت صوت رجل يقول: «يا ويلاه النار» قال: فقمت إليه وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمى العينين، منكبًّا لوجهه فسألته عن حاله فقال: إنى كنتُ ممن دخل على عثمان الدار، فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها، فقال أى عثمان: «مالك، قطع الله يديك، ورجليك، وأعمى عينيك، وأدخلك النار». قال: فأخذتنى رعدة عظيمة، وخرجت هاربًا، فأصابنى ما ترى، ولم يبقَ من دعائه إلا النار قلت له: بُعدًا لك وسحقًا[٤].

* بل لقد أخبر يزيد بن حبيب أن أكثر الذين ساروا إلى قتل عثمان بن

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٦٠/ ٦١).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٨).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢ ٠ ٦٥) كتاب الرقاق.

(٤) الرياض النضرة فى مناقب العشرة للطبرى (٧ ٠ ٥).

عفان رضي الله عنه أُصيبوا بالجنون.

ورحل الشهيد عن دنيا الناس بعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية والجهاد والعدل والسماحة والتواضع.

رحل بعد أن سالت دماؤه التى لطالما امتزجت بحب الله وحُب رسوله ﷺ . . . سالت دماؤه الشريفة التى انصهرت مع كل آية من آيات القرآن الكريم.

رحل بعد أن قدَّم للإسلام الكثير والكثير.

وها نحن بعد هذا الزمن الطويل نذكره ونذكر أعماله الجليلة، ولن ننساه أبدًا ما دامت أرواحنا فى أجسادنا.

* رضى الله عن عثمان بن عفان وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

* * *

علی بن أبی طالب رضی الله عنه

على بن أبى طالب رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع أسد الله الغالب على بن أبى طالب رضي الله عنه.

إنه أول من آمن من الصبيان فى الكون كله.

إنه الرجل الذى تربّى فى بيت النبى ﷺ.

إنه الرجل الذى نام مكان النبى ﷺ فى ليلة الهجرة.

إنه زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

إنه أبو الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

إنه البطل المجاهد الزاهد الورع العابد الخاشع على بن أبى طالب رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل الذى قال له النبى ﷺ: **«أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى»**.

من هنا نبدأ

لما نشأ النبى ﷺ يتيمًا بعد أن مات أبوه وهو ما زال حملاً فى بطن أمه ثم ماتت أمه وهو فى السادسة من عمره فكلفه جده عبد المطلب وكان يحبه حبًا جمًا لكن سرعان ما توفى جده.

وكان النبى ﷺ يبلغ من العمر ثمان سنوات، . . . وكان عبد المطلب قد أوصى ابنه أبا طالب فى اللحظات الأخيرة أن يكفل محمداً ﷺ

ويرعاه فلما مات عبد المطلب كفل أبو طالب النبى ﷺ وأخذه إلى بيته ليعيش مع أولاده.

وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت

كان أبو طالب فقيرًا وكانت زوجته تشعر بأن أولادها لا يشبعون من الطعام أبدًا فلما عاش الحبيب ﷺ بينهم دخلت البركة لأول مرة فى هذا البيت الكريم وبخاصة فى طعام الأولاد إذا أكل معهم الحبيب ﷺ.

فكان عيال أبى طالب إذا أكلوا جميعًا أو فُرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يُغذيهم أو يُعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتى ابنى، فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم.

وإن كان لبنًا شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القعب - القدح - فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعبًا وحده، فيقول أبو طالب، إنك لمبارك.

* ولما كبر النبى ﷺ أراد أن يرد جميل عمه أبى طالب وأن يخفف عنه شيئًا من الحمل الثقيل الذى يتحمله فاجتمع النبى ﷺ مع أهله وأقاربه واتفقوا على أن يساعدوا أبا طالب فأخذ حمزة بن عبد المطلب جعفر بن أبى طالب ليرعاه وأخذ النبى ﷺ على بن أبى طالب ليربيه ويرعاه فى بيته.

ومن هنا تربَّى على بن أبى طالب فى بيت النبى ﷺ وقضى طفولته الجميلة فى بيت النبى ﷺ وزوجته الفاضلة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ومن هنا نشأ (علىٌّ) على حُسن الخلق والشجاعة والزهد والورع.

وكان علىٌّ قد تعلَّم القراءة والكتابة وهو صغير وكان مشهورًا بالفصاحة والأدب.

ولقد تأثر علىٌّ بأخلاق النبى ﷺ فلم يشرب خمرًا قط ولم يسجد لصنمٍ فى الجاهلية ولم يكن يحب اللهو كغيره من الصبيان وإنما نشأ على الأخلاق الكريمة والصفات الجليلة.

وأشرقت شمس الإسلام

وفى وسط هذا الظلام الدامس من تلك الجاهلية التى ملأت أرض الجزيرة أشرقت شمس الإسلام لتُضئ للناس طريقهم إلى الله جل وعلا.

فلقد بُعث النبى محمد ﷺ برسالة الإسلام ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور ونزل عليه جبريل عليه السلام فى غار حراء برسالة الإسلام ليُصبح محمد ﷺ نبى آخر الزمان.

وفى التو واللحظة يعود النبى ﷺ إلى خديجة ويعرض عليها الإسلام فتُسلم ثم يعرض الإسلام على (على بن أبى طالب) فيُسلم وهو ما زال صبيًّا صغيرًا لم يتجاوز الثامنة من عمره.

وكان النبى ﷺ إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيًا من أبيه أبى طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ: يابن أخى! ما هذا الدين الذى أراك تدين به؟ قال: «أى عم. هذا دين الله، ودينُ ملائكته ودين رُسله، ودين أبينا إبراهيم بعثنى الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أى عمّ، أحقُّ من بذلتُ له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابنى إليه وأعاننى عليه» فقال أبو طالب: أى ابن أخى إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه، ولكن والله لا يصل إليك شىء تكرهه ما بقيت.

وذكروا أنه قال لعلى: أى بُنى، ما هذا الدين الذى أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنتُ بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله، واتبعتهُ فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلا إلى خير، فالزمه[١].

ولما كانت حياته فى بيت النبى ﷺ فإنه عرف جميع أموره الداخلية ودرس أحواله وأخلاقه عن قرب، وشرب من مشربه، وتربَّى على أخلاقه ﷺ وعاداته، وتصرفاته، فلبس ثياب الطهر فى صغره، وبَعُد عن الأصنام وناصبها العداء من بداية أمره، وشُغل بأمر النبى ﷺ طيلة حياته؛ لأنه كان دائم القرب منه، والصلة به، والعمل على راحته وخدمته والاستضاءة بنوره، والشرب من منهله أكثر من غيره، وكان مع ذلك قد أوتى ذاكرة واعية وعقلاً متفتحًا وذكاءً نادرًا، وشجاعة فذَّة، وقوة لا مثيل لها عند غيره.

وكان قد اعتاد أن يحيا حياة النبى ﷺ فى زهده وتقشفه وورعه وخوفه من الله، وصلابته فى الحق، وثباته عليه، والدعوة إليه[٢].

ما فعله علىٌ بأصنام المشركين

وبعدما ذاق علىٌ حلاوة الإيمان والتوحيد كان يتمنى أن يذوق الناس جميعًا حلاوة الإيمان والتوحيد وأن تتخلص البشرية من تلك الأصنام التى تُعبد من دون الله جل وعلا ولذلك كان ينتهز أى فرصة تُتاح له لهدم تلك الأصنام.

قال على رضي الله عنه: «انطلقت أنا والنبى ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لى رسول الله ﷺ: «اجلس»، وصعد على منكبى، فذهبت لأنهض به،

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٢٠٩- ٢١٠).

(٢) الخلفاء الراشدون / الشيخ حسن أيوب (ص ٢٥١).

فرأى مني ضعفًا، فنزل وجلس لي رسول الله ﷺ فقال: «اصعد على منكبي»، قال: فنهض بي، قال: فإنه يُخيَّل إليَّ أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال أصفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى استمكنت منه، فقال لي رسول الله ﷺ: «اقذف به»، فقذفت به، فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق، حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس».

صبره على الإيذاء

ولقد عانى عليٌّ من إيذاء المشركين وبطشهم على الرغم من صغر سنة ولكن كل هذا كان لا يساوى مثقال ذرة من حزنه على إيذاء المشركين للنبى ﷺ فقد كان عليّ يحب النبى ﷺ حبًا جمًا حتى أنه كان يتمنى أن يفدى النبى ﷺ بنفسه.

فكان عليٌّ يقف دائمًا بجوار النبى ﷺ يناصره ويؤازره.

ولما اشتد إيذاء المشركين بالنبى ﷺ وأصحابه أذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة فهاجروا سرًا حتى لا يعلم المشركون بذلك.

وبدأت وفود المؤمنين تهاجر سرًا من مكة إلى المدينة.

وبالها من خطوة تحتاج إلى صدق وإخلاص وعزيمة فقد تركوا الديار والأموال والأهل والأصحاب وفارقوا الأوطان حتى يفوزوا برضوان الله وجنته.

وبعد هجرة أصحاب الرسول ﷺ أصبحت مكة خاوية من المؤمنين ولم يبق إلا عددٌ قليل ممن حبستهم قريش... وبقى أبو بكر الصديق وعلى ابن أبى طالب ورسوله الله ﷺ فقد كان ينتظر الأذن من الله جل وعلا بالهجرة.

علي رضي الله عنه ينام مكان النبي ﷺ في ليلة الهجرة

وفي ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يراقبونه حتى إذا نام انقضُّوا عليه وقتلوه جميعًا.

فلما رأى النبي ﷺ مكانهم أمر علي بن أبي طالب أن ينام مكانه وأخبره بأنه لن يحدث له مكروه ولن يصيبه أذى.

ثم أمر عليًّا بأن يرد كل الودائع والأمانات التي عنده لأصحابها.

* ويا له من أمرٍ عجيب فقد كانت قريش تحارب النبي ﷺ، وتحارب دعوته، وتريد أن تقتله.. لكن الواحد منهم إذا كان عنده شيء ثمين يريد أن يحفظه فإنه كان يتركه وديعة عند رسول الله ﷺ.

* وهنا ألقى الله النوم على هؤلاء المتآمرين فناموا.. ثم خرج النبي ﷺ أمامهم بعد أن أخذ حفنة من التراب ووضعها فوق رُءوسهم، وهو يَتْلُو قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1].

ثم ذَهَبَ رسول الله ﷺ إلى دار أبي بكر الذي جَهَّزَ نَفْسَه للهجرة مع رسول الله ﷺ.

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدًا.

قال: خيَّبكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

قال: فوضع كل رجل منهم يدًا على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون عليًّا على الفراش.

فظنوا أن النبي ﷺ ما زال نائمًا مكانه.. فدخلوا وكشفوا الغطاء

---

(١) سورة يس: الآية: (٩).

فوجدوا علي بن أبي طالب فسألوه عن مكان النبي ﷺ فقال: لا أدري قد تركني هنا لأرد إليكم أماناتكم.

فقالوا: لقد صدقنا هذا الرجل الذي أخبرنا بخروج محمد ﷺ.

وبعد أيام خرج علي ﷺ يملؤه الشوق في اللحاق بالنبي ﷺ فكان يُسرع الخُطى في الليل ويتخفى في النهار، حتى قَدِم المدينة وقد تورمت قدماه، ونزف الدم منهما؛ فلما رآه النبي ﷺ رقَّ له وقام فعانقه ودعا له.

وفي المدينة تزوج علي ﷺ من فاطمة الزهراء شبيهة رسول الله ﷺ وأحب بناته إليه، وأنجبت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب فازداد بهذا الزواج قُرب عليّ من قلب رسول الله ﷺ وأهل بيته.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

ولما وصل النبي ﷺ المدينة كان أول ما فعله بعد بناء المسجد أنه آخى بين المهاجرين والأنصار وذلك لتقوية الجبهة الداخلية وزيادة ترابطها، وحتى يواسي الأنصار إخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم لنصرة دين الله وإعزاز شرعه.

ولم يبقَ إلا عليّ فإن النبي ﷺ لم يُؤاخِ بينه وبين أحد وذلك لأن النبي ﷺ كان يعتبر علي بن أبي طالب أخًا له في الدنيا والآخرة.

ويالها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها فقد كان النبي ﷺ يحب عليًا من أعماق قلبه.

قال رسول الله ﷺ: **«عليّ مني وأنا من عليّ ولا يؤدي عني إلا أنا أو عليّ»**[1].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٧١٩) كتاب المناقب، وأحمد (٤/ ١٦٥)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (٤٠٩١).

وعن سعد بن أبى وقاص قال: «كنت جالسًا فى المسجد أنا ورجلين معى فنلنا من علىّ فأقبل رسول الله ﷺ غضبان يُعرف فى وجه الغضب فتعوذت بالله من غضبه، فقال: «ما لكم وما لعلى؟ من آذى عليًا فقد آذانى»[١].

صفحات مشرقة من جهاده فى سبيل الله

وها هو ﷺ يُسطِّر على جبين التاريخ بسطور من النور صفحات مشرقة من جهاده فى سبيل الله تعالى فهو يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها اشتياق من يبحث عن الماء البارد فى صحراء موحشة.

جهاده فى يوم بدر

وفى غزوة بدر خرج الفارس المغوار مجاهدًا فى سبيل الله.

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا يوم بدر ثلاثة على بعير... كان أبو لُبابة وعلى بن أبى طالب زميلى رسول الله ﷺ قال: وكانت عقبة رسول الله ﷺ - دوره فى المشى - قال: فقالا: نحن نمشى عنك فقال: «ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»[٢].

* وفى أرض الشرف والجهاد كان لبطلنا هذا الموقف العظيم فلقد كانت الحروب قديمًا تبدأ بالمبارزة بالسيوف. فخرج عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة وقالوا: هل من مبارز؟ فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف، ومُعوذ أبناء الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟.

---

(١) رواه أبو يعلى (٢/ ١٠٩) وأحمد فى فضائل الصحابة (١٠٧٨) وهو حسن.

(٢) رواه أحمد (١/ ٤١١) والطيالسى (٣٥٤) وإسناده حسن.

فقالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا[١] من قومنا.

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي» فلما قاموا ودنوا منهم.

فبارز عبيدة - وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز عليّ الوليد بن شيبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكَرَّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فقتلاه، وحملا عبيدة بن الحارث فإذا به يموت شهيداً بعد ذلك من آثار هذه الضربة[٢].

* بل لقد أيَّد الله عز وجل هذا الصحابي الجليل علي بن أبي طالب بالملائكة.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «قال لي النبي ﷺ، ولأبي بكر يوم بدر: «مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو يكون في الصف».

❊ ❊ ❊

(١) أكفاءنا: نظراءنا أو من يساوونا في المكان.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٦٥) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود.

جهاده فى يوم الخندق

وفى غزوة الخندق كان له هذا الموقف العظيم مع فارس قريش عمرو بن عبد وُدّ. . . فقد كان عمرو قد قاتل فى يوم بدر حتى جُرح جراحات شديدة فلم يشهد غزوة أُحد فلما كان يوم الخندق جاء وهو يريد أن يقتل النبى ﷺ ولهذا كان أول الفرسان الذين اقتحموا بخيلهم الخندق نحو المسلمين ومعه فوارس من قريش فخرج له على بن أبى طالب فى نفرٍ من المسلمين حتى منعوهم من الوصول إلى المسلمين.

* وكان عدد المشركين الذين كانوا يحاصرون المدينة فى يوم الخندق عشرة آلاف. وكان من عادة العرب أن تبدأ حروبهم بالمبارزات الفردية؛ لذا طلب بعض فرسان المشركين المبارزة مع أمثالهم وأكفائهم من المسلمين فتقدم عمرو نحو المسلمين يملأ الغرور قلبه، ويعمى الكبر عينيه وراح ينادى فى عنادٍ: مَن يبارز؟!!

وتعلقت عيون فرسان المسلمين بالنبى ﷺ ترقُب أمره، وكلٌّ منهم يتوق إلى مبارزة ذلك المشرك المغرور فتمهل النبى ﷺ فهو يعلم من هو عمرو بن عبد وُدّ. . . إنه فارس الجزيرة العربية الملقب بالألف فارس، الذى لم يصارع أحداً إلا قتله. . . وبالغ عمرو فى تحدّيه للمسلمين فنادى مرة ثانية فى غرور: أين جنتكم أيها المسلمون؟!

وهنا تحركت الأسود الرابضة التى يملؤها الإيمان والشوق إلى الجنة ليختار النبى ﷺ أحدها لتأديب هذا المشرك المتكبر.

ومن بين الصفوف وقف الفارس المغوار، وقد اشتعل صدره حماسة وثقة فى نصر الله وقال: أنا له يا رسول الله.

ولكنه ﷺ اشفق على فارسه الشاب أن يدخل هذه المعركة ولذا لم

يُجبه، فألحَّ الفارس في الرجاء قائلاً: أنا له يا رسول الله فأذن القائد لفارسه؛ فتقدم في خُطى ثابتة وعلى وجهه نور الإيمان والثقة بنصر الله.

وتعجب عمرو من هذا الذي جرؤ عليه فقال له: إن من أهلك من هو أكبر منك، وإني أكره أن أقتلك.

فردَّ عليه الفارس بصوت يملؤه القوة: ولكني لا أكره أن أقتلك، وأدعوك يا عمرو إلى الإسلام، فإن أبيت فالقتال.

وغضب عمرو وهوى بسيفه على البطل الشاب الذي استقبل الضربة الرهيبة بدرعه فقطعت الدرع، وأُصيب البطل في رأسه.

وتعلقت قلوب المسلمين بالسماء تطلب النصرة لفارس الإسلام الذي يصارع الألف فارس، وتلاقت السيوف يتطاير منها الشرر والغضب وفي لحظة خاطفة هوى البطل المسلم بسيفه على رقبة عمرو فخرَّ صريعًا؛ فكبَّر وكبَّر المسلمون وكبر النبي ﷺ.

إنه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ [1].

صاحب الراية
الذي يفتح الله على يديه حصون خيبر

وفي غزوة خيبر كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تخلف عن النبي ﷺ لأنه كان به رمد في عينيه... فقال في نفسه: أنا أتخلف عن رسول ﷺ.

هذا لا يكون أبدًا.. فخرج حتى لحق بالنبي ﷺ.

فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الخلفاء الراشدون/ أ. سامي عبد الرؤوف، أ. عبد الحسيب الخاني (ص: ٦٤- ٦٦). ط. مكتبة سفير.

«لأُعطينَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيُّهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «أين على بن أبى طالب؟».

فقيل: هو يا رسول الله يشتكى عينيه.

فقال: «فأرسلوا إليه» فأُتى به.

فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية، فقال علىٌّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟.

فقال له رسول الله ﷺ: «يا على إذا وصلت إلى هناك فادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله فيه فوالله؛ لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعم»(١)(٢).

(على) يقتل (مرحب اليهودى)

وأول حصن هاجمه المسلمون من هذه الحصون الثمانية هو حصن ناعم، وكان خط الدفاع الأول لليهود لمكانه الاستراتيجى، وكان هذا الحصن هو حصن مرحب البطل اليهودى الذى كان يُعدُّ بألف رجل.

خرج على بن أبى طالب رضي الله عنه بالمسلمين إلى هذا الحصن، ودعا اليهود إلى الإسلام، فرفضوا هذه الدعوة، وبرزوا إلى المسلمين ومعهم ملكهم مرحب، فلما خرج إلى ميدان القتال دعا إلى المبارزة.

فتقدم عامر بن الأكوع ليبارزه... فقُتل عامر رضي الله عنه.

وهنا تقدم على بن أبى طالب رضي الله عنه وبارزه مبارزة شديدة حتى ضربه على

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢١٠) كتاب المغازى، ومسلم (٦ ٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) حُمر النعم: أى خيرٌ لك من الإبل الحمراء التى كانت تساوى عند العرب ثروة كبيرة.

رأسه فقتله ثم فتح الله على يديه حصون خيبر حصنًا بعد حصن. . . حتى فُتحت كل الحصون وبذلك تم فتح خيبر. وأرسل ابن أبي الحُقيق إلى رسول الله ﷺ فصالح رسول الله ﷺ وطلب منه ألا يقتل من في الحصون وأن يترك الذرية على أن يخرج اليهود من خيبر ويتركوا للمسلمين الأرض والمال وكل شيء فاشترط عليهم النبي ﷺ ألا يكتموا شيئًا ولا يُخبئوا شيئًا.

منقبة عظيمة في غزوة تبوك

وبعد فتح مكة جاءت الأنباء إلى النبي ﷺ بأن الروم تستعد للقيام بغزوة كبيرة ضد المسلمين فقرر النبي ﷺ أن يخرج لقتالهم وخلَّف عليًا رضي الله عنه على أهله ليقوم على شئونهم ويقضي حاجاتهم.

فقال المنافقون: والله ما تركه النبي إلا استثقالاً وتخففًا منه فأخذ عليٌّ سلاحه وخرج إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله ﷺ أتُخلفني في النساء والصبيان؟

فقال ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»[1].

ففرح عليٌّ بقول النبي ﷺ وظل في المدينة كما أمره النبي ﷺ.

فيا لها من صفحات مشرقة لا ننساها أبدًا ما دامت أرواحنا في أبداننا.

موقفه بعد وفاة الرسول ﷺ

وعاش رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ يقتبس من علمه وزهده وأخلاقه الرفيعة إلى أن توفي الحبيب ﷺ وحزن عليه حزنًا كاد أن يمزق قلبه. . فلقد فَقَدَ حبيبه ورسوله الذي لطالما احتضنه وأغدق عليه الكثير والكثير من

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١٦) كتاب المغازي - ومسلم (٤ ، ٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

رحمته وعطفه وعلمه، بل وأعطاه قُرة عينه وثمرة فؤاده (فاطمة) ﷺ.

* وكما كان عليٌّ فارسًا من فرسان المسلمين فى كل المعارك فقد أصبح سفيرًا للإسلام فى الدعوة إلى الله جل وعلا.

فقد أرسله النبى ﷺ لينشر الدعوة فى بلاد اليمن بالحكمة والموعظة الحسنة وليكون أميرًا عليها... فأسلمت على يديه قبيلة همدان كلها وكثير من أهل اليمن.

وظل على ﷺ يذود عن الإسلام ويجاهد لإعلاء كلمة الحق ملازمًا النبى ﷺ حتى تُوفى وهو عنه راضٍ.

واجتمع المسلمون فى سقيفة بنى ساعدة وبايعوا أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله فكان علىٌّ جنديًّا مخلصًا من جنود الإسلام، يعاون خليفة رسول الله، وينصح له ويشد من أزره وينصره فى محاربة الذين ارتدوا عن الإسلام والذين منعوا الزكاة، إلى أن عادت الجزيرة العربية مرة أخرى إلى روضة الإسلام.

وقد عرف أبو بكر والصحابة لعلى ﷺ مكانته وعلمه وفقهه ورجاحة عقله فكان من أكابرهم... ولما بايع المسلمون عمر بن الخطاب بالخلافة بعد وفاة أبى بكر كان على ﷺ من أكثر الصحابة قربًا منه وأشدهم تأييدًا لسيرته فى الرعية وكان عمر يشاوره فى أمور الدولة كلها، ويستفتيه فى أمور الناس وبلغ عنده منزلة عالية حتى قال عمر يومًا للمسلمين: لولا علىّ لهلك عمر. وكان يقول لعلى: أعوذ بالله أن أعيش فى قومٍ لست فيهم يا أبا الحسن، وكان عمر إذا ترك المدينة جعل عليًّا أميرًا عليها.

ولما طُعن أمير المؤمنين عمر، وقبل أن يفارق الدنيا جعل أمر الخلافة شورى فى الستة الذين مات النبى ﷺ وهو عنهم راضٍ وهم: عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص

وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ﷺ أجمعين.

واجتمع أهل الشورى واختاروا عثمان بن عفان ﷺ فكان على ﷺ من أول من بايعه وظل بجواره يعاونه فى مهام الخلافة وشئون المسلمين ويخلص له النصيحة.

وارتفعت رايات العدل لتحقق الأمن والعدالة للضعفاء والمظلومين وشعرت قوى الظلم والشرك بالخطر الذى يتهددها فتحركت لمواجهة ذلك الخطر العظيم، والتصدى لهذا الدين الجديد، وانتشر هؤلاء محاولين إشاعة الفتنة بين المسلمين وبث الفُرقة بينهم ودفع المسلمين إلى التمرد على الخليفة مستخدمين فى ذلك الأكاذيب والمؤامرات الحاقدة على الإسلام والمسلمين، حتى استطاعوا أن يدفعوا بعض ضعاف النفوس وأصحاب الأهواء إلى محاصرة بيت أمير المؤمنين ذى النورين عثمان بن عفان بحجة عزله عن الخلافة بعد أن رموه بالاتهامات الكاذبة، فقام الصحابة للذود عن خليفة المسلمين، وكان علىٌ فى مقدمة المدافعين المتصدين لتلك المؤامرة الدنيئة.

وحاول على ﷺ مراراً أن يصرف المتآمرين عن ضلالهم وظلمهم ولكنهم أبوا؛ فاستأذن علىٌ أمير المؤمنين عثمان ﷺ أن يقاتلهم فرفض عثمان خوفًا على الصحابة فأمر علىٌ أولاده أن يحرسوا دار عثمان ﷺ.

ونفذ المتآمرون جريمتهم وقتلوا عثمان بن عفان الشهيد المظلوم مستغلين خروج معظم الصحابة إلى الحج وحماية الثغور وبقى المسلمون ثلاثة أيام من دون خليفة، بعد أن سيطر القتلة على المدينة المنورة وأشاعوا الرعب فيها، وفكر المسلمون فيمن يقود الأمة الإسلامية فى محنتها الكبرى وأصعب ظروفها؛ فلم يجدوا خيراً من على ﷺ فتوجهوا إليه عارضين عليه الخلافة فرفض ورشح لهم غيره من أهل الشورى وقال: لأن أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً ولكنهم ألحُّوا عليه، فاضطر إلى الاختباء بأحد البساتين حتى

يبايع الناس غيره، ولكن الصحابة دخلوا عليه وتقدم إليه أصحاب الشورى فبايعوه ثم تبعهم كبار المهاجرين والأنصار.

وفى مسجد رسول الله ﷺ بايع بقية المسلمين عليًا رضي الله عنه.

وسار أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه بركب الخلافة على نهج كتاب الله وسنة رسوله وسيرة مَن سبقه من الخلفاء الراشدين الثلاثة، برغم العواصف العاتية والفتن الهوجاء التى أحاطت بالأمة... وبدأ رضي الله عنه باختيار عُماله وولاته من خيرة المسلمين أصحاب الكفاءة والصلاح والعلم بإدارة البلاد كعبد الله بن عباس وأبى موسى الأشعرى وغيرهما[١].

هكذا كان حال الخليفة الراشد

لقد ضرب علىٌّ المثل للحاكم العادل الذى ملأ الدنيا بعدله ورحمته.

لقد كان يرى أن مال الرعية أمانة عظيمة فى عنقه فلم يكن ينفق درهمًا إلا فيما يعود بالنفع على المسلمين.

وكان يرفض أن يعطى لأهله وأقاربه شيئًا يميزهم به عن بقية الرعية.

وكان يأمر ولاته بالعدل فى الرعية قائلاً لهم: أيها الولاة إن لرعيتكم حقوقًا: الحكم بالعدل والقسمة بالسوية وما من حسنة أحب إلى الله من حُكم إمامٍ عادل.

وكان يأمر الولاة بألا يكون بينهم وبين رعيتهم حُجُب أو أبواب حتى يكونوا على علم بأحوال الناس واحتياجاتهم.

وكان رضي الله عنه يمشى فى أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين، فيُرشد الضال ويعين الضعيف ويلتقى بالشيخ المُسنّ الكهل، فيحمل عنه حاجته، ولا يسكن قصر الإمارة ويقول: قصر الخبال هذا، لا أسكنه أبدًا.

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٧٠- ٧٤) بتصرف.

ولم يكن على رضي الله عنه يميز نفسه عن رعيته ولا يستأثر دونهم بشيء من المال أو المتاع. . . . يُروى أن خادمه (قُنبر) شعر يومًا بحاجة أمير المؤمنين إلى المال فقال له: يا أمير المؤمنين: قد خبأت لك بعض الهدايا التى أرسلها الأمراء والتجار إليك، وكان على رضي الله عنه لا يقبلها ويردها، أو ينفقها على المسلمين فانطلقا فدخلا حجرة قد مُلئت بالهدايا فلما رآها على رضي الله عنه غضب غضبًا شديدًا وقال لخادمه: أردت أن تُدخل بيتى نارًا عظيمة، ثم جعل يزن الهدايا ويعطى فقراء المسلمين ويقول: لا تغرينى أيتها الدنيا، وغُرّى غيرى.

وقام رضي الله عنه يومًا يخطب فى المسلمين فرأى ولديه الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما ثياب جديدة فنظر إليهما فى دهشة وما إن انتهى من خطبته حتى سألهما: ما هذان الثوبان؟!!

فأجاباه: إنهما هدية من أحد تجار فارس. فرأى على رضي الله عنه أن ولديه آثرا نفسيهما على المسلمين، وأنهما لا حقَّ لهما فى الثوبين، فأخذهما وردَّهما إلى بيت المال.

وفى أحد الأيام أراد على رضي الله عنه أن يشترى ثوبًا فخرج إلى السوق ولكن التجار عرفوه، وأبوا أن يأخذوا ثمن الثوب؛ فرفض علىٌّ وظل يبحث عن بائع لا يعرفه حتى أتى غلامًا فاشترى منه الثوب، وعاد إلى بيته، فأخبر التجار والد الغلام، فأخذ الرجل الدراهم وذهب إلى علىٍّ خجلاً معتذرًا ولكن عليًّا شكره ورفض أن يأخذ الدراهم. وعلى الرغم من كثرة الأموال فى بيت المال، فإن عليًّا اشتهر بالزهد، فكان لا يأكل إلا من كسب يده، ولا ينظر إلى مال غيره، . . . احتاج مرة إلى مال يشترى به ثوبًا له فذهب إلى السوق ليبيع سيفه فقال: من يشترى منى هذا السيف؟ فوالذى فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ولو كان عندى ثمن إزار ما بعته[١].

---

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٧٥- ٧٩) بتصرف.

صفحة مشرقة من عدله ﷺ

يُحكى أن على بن أبى طالب ﷺ ضاعت منه درع فوجدها عند رجل نصرانى فأقبل به إلى القاضى شُريح يخاصمه، وقال علىٌّ: هذه الدرع درعى ولم أبِع ولم أهَبْ. فقال شُريح للنصرانى: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصرانى: ما الدرع إلا درعى وما أمير المؤمنين عندى بكاذب! فالتفت شُريح إلى على وقال: يا أمير المؤمنين؛ ألك بيِّنة؟ فابتسم علىٌّ وقال: أصاب شُريح، ما لى بينة، فقضى بالدرع للنصرانى، فأخذها ومشى خطوات ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقتضى فيقضى عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. . . . الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين سقطت منك وأنت منطلق إلى صِفِّين، قال: أما إذ أسلمت فهى لك.

هكذا كان الضمير المؤمن هو الذى يحكم الخليفة والقاضى، فلم يحاول الخليفة المؤمن أن يتخذ القوة لأخذ حقه أو يؤثِّر على القاضى ليحكم فى صالحه ولم يحاول القاضى المؤمن أن يطوع النصوص إرضاءً لأميره رغم ما يعتقده من صدقه. . . فالشرع سيدٌ على الجميع.

وحان وقت الرحيل

وبعد فترة قصيرة من خلافة علىٍّ حدثت فتنة كبيرة قضت على الأخضر واليابس وسُفكت بسببها الدماء الطاهرة.

فلقد اختلف أمير المؤمنين على ﷺ مع بعض الصحابة كالزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان، فى أمر قَتَلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ.

فقد كانوا يرون ضرورة تنفيذ القصاص فى القتلة، فى حين كان علىٌّ

وكثير من الصحابة يرون أن يؤجَّل تنفيذ القصاص في القتلة حتى تهدأ الأمور ويستقر أمر الخلافة.

وقد أدى هذا الخلاف إلى اقتتال الطرفين، ولكن سرعان ما أدرك المسلمون خطر الفتنة والفرقة والتنازع فاجتمعت كلمتهم على الصلح وتم لهم ذلك.

ولكن أعداء الإسلام من المنافقين والمتآمرين لم يهدأ بالهم وهم يرون الأمة قد عمَّها الأمن والسلام من جديد وبدأت الاستعداد لمواصلة رسالتها في نشر الإسلام، فاجتمع ثلاثة من الخوارج قد ملأ الحقد قلوبهم، بعد أن شتت أمير المؤمنين شملهم وقضى على فتنتهم وتعاهدوا على قتل أمير المؤمنين عليّ ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام، وعمرو بن العاص والي مصر، حتى تصبح الأمة الإسلامية بلا خليفة أو قادة كبار يقودون مسيرتها فيدب الشقاق والقتال فيها مرة أخرى.

وفي يوم الجمعة السابع عشر من رمضان عام أربعين من الهجرة نفذ المتآمرون جريمتهم، وذلك عندما خرج علي رضي الله عنه ينادي الناس لصلاة الفجر فضربه ابن ملجم بالسيف، فظل عليٌّ يردد لا إله إلا الله فُزت ورب الكعبة[1].

ولقي الإمام ربه أخيرًا مصابًا بضربة سيف مسموم كما لقيه من قبل عمر الفاروق مصابًا بضربة خنجر محموم!

وتأبى عظمة البطل إلا أن يكون آخر مشهد في حياته جديرًا بها أكثر ما تكون الجدارة ودالاً على حقيقته أصدق ما تكون الدلالة!

فإنه لم يكد يتلقى ضربة القدر في رأسه، حتى حُمِل إلى داره..

وإذ هو في لحظات الكارثة هذه، يأمر حامليه والحافين حوله أن يذهبوا

(١) الخلفاء الراشدون (ص: ٨٠- ٨١).

إلى المسجد، ليدركوا صلاة الفجر قبل أن تؤذن بفوات هذه الصلاة التى كان يتهيأ لها حين حال الاغتيال الأثيم بينه وبين بلوغها أو إتمامها وحين يفرغون من صلاتهم ويعودون إليه كما يعود فى نفس الوقت، بعض الرجال ممسكين بالقاتل عبد الرحمن بن ملجم يفتح الإمام عينيه، فتقعان عليه فيهز رأسه فى أسى حين يعرفه ويقول:

أهو أنت. . .؟ لطالما أحسنتُ إليك. . !!

ويُلقى البطل العظيم على وجوه بنيه وأصحابه نظرة، فيراها تتفجر غيظًا، وتضطرم نقمة، ويحس برد الموت يسرى فى أوصاله، ويكاد يرى المصير الذى سيحيق بـ «ابن ملجم». . . يكاد يرى الانتقام المروع الذى سيثأر به أولاده، وأصحابه فيتقدم هو فى إصرار ليحمى قاتله من أية مجاوزة أو تخطٍّ لحدود القصاص المشروع.

وهكذا ناداهم إليه، وخرجت الكلمات من فمه مبحوحة فقال لبنيه، ولأهله: أحسنوا نُزله وأكرموا مثواه. . . فإن أعش فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا. . وإن أُمتْ فألحقوه بى، أخاصمه عند رب العالمين. . ولا تقتلوا بى سواه إن الله لا يحب المعتدين[1].

* وهكذا رحل الشهيد البطل الذى بشَّره النبى ﷺ بالجنة.
* هكذا رحل أبو الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.
* رضى الله عن على بن أبى طالب وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

* * *

(١) خلفاء الرسول / أ. خالد محمد خالد (٥٩٨- ٥٩٩) بتصرف.

طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه

طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه

وها نحن على موعد مع صحابى جليل عرف النورُ طريقة إلى قلبه فقام ليسلك طريق الهدى ولييذل الغالى والنفيس من أجل نُصرة هذا الدين العظيم.

إنه الصحابى الذى بشَّره النبى ﷺ بأنه من أهل الجنة - ويا لها من بشرى لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرته العطرة.

من هنا نبدأ

تبدأ قصة طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه منذ أن كان أبوه من أشراف مكة وأصحاب الجاه والمكانة وكانت أمه (الصعبة بنت عبد الله) التى كان جدها وهب بن عبد الله صاحب العطاء والكرم.

وبين أبيه وأمه نمت طفولته، وترعرع شبابه، وتعلَّم على أيديهما الكثير من شئون الحياة والتخلق بالأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال تزوج حمنة بنت جحش، أخت زينب زوج النبى ﷺ.

نشأ طلحة رضي الله عنه فى مكة، فعرف سهولها ووديانها، وتنقَّل بين جبالها وقممها، وتعلَّم الرماية بالسهم، والإصابة بالرمح... ولما شبَّ عن الطوق لحاقت به جنباتُ مكة، فاختار طريق التجارة، ومن هنا عرفته أسواق بُصرى والشام، عرفته تاجرًا صدوقًا، وخبرته بائعًا سمحًا.

البشرى الجميلة

وفى إحدى رحلاته التجارية إلى بُصرى كان الناس قد انشغلوا بالبيع والشراء فى سوق بُصرى... وفجأة سمع الناس رجلاً ينادى ويقول: يا معشر التجار هل فيكم رجل من أهل الحرم.

فنظر الناس خلفهم فوجدوا راهبًا من رهبان الشام الذين كانت صوامعهم منتشرة على الطريق.

فقام طلحة وقال: نعم أنا من أهل الحرم.

فقال له الراهب: هل بُعث فيكم نبى آخر الزمان؟

فقال طلحة: ومن هو نبى آخر الزمان؟

الراهب: إنه أحمد إنه خاتم الأنبياء والمرسلين يخرج فى أرض الحرم ثم يهاجر إلى أرض فيها نخل وماء فإن استطعت ألا يسبقك إليه أحدٌ فافعل.

* وهنا انصرف الراهب وترك طلحة حائرًا يفكر فى هذا الكلام وبعد أن باع طلحة تجارته عاد مسرعًا إلى مكة ليتحرى صحة هذا الكلام الذى سمعه من الراهب.

موعدٌ مع السعادة

وكان طلحة كغيره من أهل الجزيرة يتمنى أن يُبعث نبى آخر الزمان ليُخلصهم من تلك الجاهلية التى أثقلتهم بالهموم وجعلت الحياة كأنها غابة مليئة بالوحوش.

وسرعان ما تحققت تلك الأمنية الغالية، فلقد بزغ نور الإسلام فأضاء الكون كله فى لحظة واحدة... يوم أن نزل جبريل عليه السلام على الحبيب ﷺ ومعه النور الذى أضاء الله به القلوب المظلمة وهدى به النفوس التائهة فى دروب الحياة المتشابكة إلى أنوار التوحيد والإيمان.

لقد بُعث محمد ﷺ وآمن برسالته أبو بكر رضي الله عنه.

فلما سمع طلحة رضي الله عنه هذا الخبر لم يتلكأ ولم يتلعثم بل إنه بمجرد أن دعاه أبو بكر استجاب لنداء الحق فهو يعلم يقينًا أن محمدًا هو الصادق الأمين بلا منازع وأن أبا بكر هو التاجر الصدوق الذى لا يمكن أن يجتمع مع الحبيب ﷺ على ضلالة أبدًا.

وذهب طلحة وقلبه ينبض بكل قوة وشوق وحنين للقاء الحبيب ﷺ ليعلنها قوية فى وجه الكون كله: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ.

وعلى الرغم من مكانته بين قومه وثرائه، إلا أنه أُوذى فى سبيل الله، ولكن سرعان ما كشف الله عنه هذا العذاب والابتلاء.

ولما هاجر الحبيب ﷺ إلى المدينة هاجر طلحة رضي الله عنه مع المهاجرين لينعم بصُحبة النبى ﷺ بعيدًا عن أعين كفار قريش وسطوتهم.

النبى ﷺ يبشره بالشهادة فى سبيل الله

وظل طلحة رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ يتعلم منه الخير كله ويقتدى بأخلاقه العذبة المباركة.

وفى يوم من الأيام كان طلحة على موعد مع سعادة الدنيا والآخرة فلقد بشَّره النبى ﷺ بأنه سيموت شهيدًا فى سبيل الله.

فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء. فتحرك فقال رسول الله ﷺ: «اسكُن حراءُ! فما عليك إلا نبيٌّ أو صديق أو شهيد»، وكان عليه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنهم[1].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٠) كتاب فضائل الصحابة.

فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيداً. . وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب ﷺ ظل يبحث عن الشهادة فى مظانها. . . فشهد المشاهد والغزوات كلها مع النبى ﷺ عدا غزوة بدر.

موقفه فى يوم بدر

كان النبى ﷺ قد خرج هو وبعض أصحابه للحصول على عير لقريش ذاهبة من مكة إلى الشام فأفلتت منه فلما اقترب موعد رجوعها من الشام إلى مكة أرسل النبى ﷺ طلحة بن عُبيد الله وسعيد بن زيد إلى الشمال ليقوما باكتشاف خبرها فوصلا إلى مكان يُسمى بالروحاء وظلا هناك حتى مرَّ أبو سفيان بالعير وبلغ رسول الله ﷺ الخبر قبل رجوع طلحة وسعيد. . . ولذلك لم يحضرا غزوة بدر لأنهما لم يعلما بوقوعها إلا بعد عودتهما إلى المدينة.

فلما عادا إلى المدينة وعلما بخبر انتصار المسلمين على المشركين فرحا فرحًا شديداً وأعطاهما النبى ﷺ من الغنائم التى غنمها المسلمون فى غزوة بدر.

دفاعه عن النبى ﷺ فى غزوة أحد

ولم ينسَ المشركون ما حدث لهم فى غزوة بدر فأخذوا يُعدون العُدة سنة كاملة حتى كان اللقاء الدامى فى يوم أُحد. التقى المسلمون مع المشركين فى غزوة أُحد وكان النبى ﷺ قد وضع خمسين من الرُّماة على جبل الرماة وكان على رأسهم عبد الله بن جُبير. . . وأمرهم النبى ﷺ ألا يتركوا الجبل أبدًا سواء كانت النُصرة للمسلمين أو للمشركين.

وبدأت المعركة وقام أصحاب الرسول ﷺ يقاتلون بكل بسالة وضراوة

وإخلاص فكانت النصرة لهم فى بداية المعركة وفرَّ المشركون من أمام المسلمين فظن الرُّماة الذين كانوا على الجبل أن الغزوة قد انتهت فنزل أربعون منهم لجمع الغنائم فقال لهم عبد الله بن جبير: لا تبرحوا الجبل فقد أمركم النبى ﷺ بذلك.

فقالوا له: إن القتال قد انتهى وسوف ننزل لجمع الغنائم، . . . ونزل أربعون من الرُّماة وبقى عشرة منهم على الجبل.

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية، - وكان فى ذلك الوقت مشركًا- فاستدار بسرعة خاطفة، حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامى، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير وأصحابه، ثم انقضَّ على المسلمين من خلفهم، وصاح فرسانه صيحة عرف منها المشركون المنهزمون بالتطور الجديد، فانقلبوا على المسلمين وأسرعت امرأة منهم وهى عَمرة بنت علقمة الحارثية فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب، فالتفَّ حوله المشركون، ولاثوا به، وتَنادَى بعضهم بعضًا، حتى اجتمعوا على المسلمين، وثبتوا للقتال، وأُحيط المسلمون من الأمام والخلف.

* وهنا أراد المشركون قتل رسول الله ﷺ فنادى النبى ﷺ على المسلمين: «هَلُمَّ إلىَّ، أنا رسول الله» فسمع المشركون صوته فانطلقوا نحوه ليقتلوه وإذا بتسعة من أصحاب النبى ﷺ ينطلقون ليدافعوا عن النبى ﷺ وهم سبعة من الأنصار واثنان من المهاجرين ألا وهما سعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وتقدم السبعة من الأنصار ليدافعوا عن رسول الله ﷺ حتى قُتلوا.

وأما سعد بن أبى وقاص فقد نثل له رسول الله ﷺ كنانته، وقال: «ارمِ فداك أبى وأمى»[1].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٥٥) كتاب المغازى، ومسلم (٢٤١٢) كتاب فضائل الصحابة.

* وأما طلحة بن عُبيد الله فقد قام يقاتل ويدافع عن النبى ﷺ وحده فلما اقترب المشركون من النبى ﷺ هجم عليهم طلحة فضربوا أصابعه بالسيف فقطعوها فقال: حَسّ... فقال له رسول الله ﷺ: «لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة إلى السماء والناس ينظرون إليك» وفى رواية أنه قال له: «لو قلت بسم الله لرأيت يُبنى لك بها بيت فى الجنة وأنت حىٌّ فى الدنيا»(١).

وظل طلحة يدافع عن النبى ﷺ ثم يرجع فيحمل النبى ﷺ ويرجع به إلى الوراء حتى وصل إلى صخرة عالية فصعد عليها النبى ﷺ وقال كلمته الشهيرة: «أوجب طلحة... اللهم أوجِب لطلحة الجنة» فكان من العشرة المبشرين بالجنة.

وجُرح فى تلك الغزوة تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين وشُلَّت أصبعه أى السبَّابة والتى تليها(٢).

وقال النبى ﷺ فيه يومئذ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عُبيد الله»(٣).

* وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا ذُكر أمامه غزوة أُحد بكى وقال: كان هذا اليوم كله لطلحة.

حُسن ظنه بإخوانه

وفى يوم من الأيام يأتيه رجل ويقول له: إننا نسمع أشياء من أبى هريرة رضي الله عنه لا نسمعها منكم.

وكأن الرجل كان يشك فى أبى هريرة من كثرة ما يسمعه وهو يروى

(١) رواه أحمد (١٢٩٤) بإسناد صحيح.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٧٢٤) كتاب المناقب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٣٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩٦٢).

حديث النبى ﷺ.

وإذا بطلحة رضي الله عنه يقول له: أما أنْ قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، فلا أشك وسأخبرك: إنَّا كنَّا أهل بيوت، وكنا إنما نأتى رسول الله غُدوةً وعشيةً وكان أبو هريرة مسكينًا لا مال له إنما هو على باب رسول الله، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحدًا فيه خيرٌ يقول على رسول الله ﷺ ما لم يَقُلْ؟[1].

فيا ليتنا نعى هذا الدرس جيدًا ونُحسن الظن بكل الناس من حولنا.

إنه طلحة الجود ... طلحة الخير

وها هى صفحة مشرقة من إنفاقه فى سبيل الله تعالى فقد كان ينفق على إخوانه بغير حساب ولا يخشى الفقر أبدًا وكيف يخشى الفقر وهو الذى تربَّى بين يدى سيد الزاهدين وإمام المتقين محمد بن عبد الله ﷺ.

عن موسى عن أبيه (طلحة) أنه أتاه مالٌ من حضرموت سبعُ مئة ألف، فبات ليلته يتململ. فقالت له زوجته: مالك؟ قال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال فى بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك وإخوانك فإذا أصبحت، فادعُ بجفانٍ وقصاع فقسِّمه، فقال لها: رحمك الله، إنك موفقة بنت موفقٍ وهى أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح، دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى عليٍّ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد! أما كان لنا فى هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقى. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[2].

---

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات أخرجه الترمذى، وحسنه هو والحافظ فى الفتح.

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (١/ ٣٠- ٣١).

وعن الحسن البصرى أن طلحة بن عُبيد الله باع أرضًا له بسبع مئة ألف. فبات أرقًا من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرَّقه[١].

إنه طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود.

وحان وقت الرحيل

وبعد وفاة النبى ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر ﷺ كثرت الفتن وقُتل عثمان بن عفان الشهيد المظلوم ﷺ.

ولما قُتل عثمان بن عفان ﷺ خرج طلحة بن عبيد الله مع الزبير بن العوام وأمنا عائشة ﷺ جميعًا للطلب بدم عثمان.

وكان طلحة يشعر بحزن شديد بسبب تلك الفُرقة وهذه الحرب التى ستدور بين أهل التوحيد والإيمان.

فلما وصلوا إلى ميدان المعركة ورأوا عمار بن ياسر ﷺ يقاتل فى صف على بن أبى طالب ﷺ وإذا بطلحة والزبير ﷺ يتذكرا قول الحبيب ﷺ لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٢]، فاعتزلا تلك الحرب فلم يقاتلا.

وكان طلحة والزبير ﷺ فى جيش معاوية ﷺ الذى يقاتل عمارًا ﷺ فخشيا من الخوض فى هذا القتال... ومما زاد حماسهما لاعتزال تلك الحرب قول على بن أبى طالب للزبير: يا زبير أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقاتله وأنت له ظالم؟ قال الزبير: أذكر، ثم مضى الزبير منصرفًا»[٣].

فانسحب طلحة والزبير وقُتلا أثناء اعتزالهما لتلك الحرب، فأما الزبير فقد تعقَّبه رجل اسمه «عمرو بن جرموز» فقتله غدرًا، وأما طلحة فيقال: إنه

---

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (١/ ٣٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩١٥) كتاب الفتن.

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

جاءه سهم غرب - أى لا يُدرى من الذى رماه -.

وقيل: إن الذى رماه هو مروان بن الحكم.

ولما علم على بن أبى طالب ﷺ بمقتل طلحة ذهب إليه ونزل من على دابته وأجلسه ومسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه ويقول: ليتنى متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وفى يوم من الأيام يدخل عمران بن طلحة على على بن أبى طالب فيرحب به ويُقربه ويقول له: إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1].

الله يحفظ جسده بعد موته

وفى يوم من الأيام ترى عائشة بنت طلحة فى المنام أن أباها يطلب منها أن تنقله من قبره إلى قبرٍ آخر لأن قبره قد امتلأ بالرطوبة والماء.

فأخبرت عائشة قومها فخرج معها محارمها وحفروا قبر أبيها طلحة بن عبيد الله وأخرجوه فوجدوه كما هو يوم أن دفنوه لم يتغير منه شىء إلا شُعيرات فى لحيته... وكان ذلك بعد دفنه بأكثر من ثلاثين سنة... ودفنوه فى قبرٍ آخر... وهكذا حفظ الله جسده بعد موته.

* رضى الله عن طلحة وأرضاه وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

* * *

(١) سورة الحجر: الآية: (٤٧).

الزبير بن العوام رضي الله عنه

الزبير بن العوام رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هـذا الصحابى الجليل الذى شهد له النبى ﷺ بأنه من العشرة المبشرين بالجنة.

إنه أول من سَلَّ سيفه فى سبيل الله دفاعًا عن رسول الله ﷺ.

إنه الفـارس المغـوار الذى لم يتخـلف عن أى غزوة غـزاها رسـول الله ﷺ.

إنه البطل الذى كان سببًا فى فتح مصر ودخول أهلها الإسلام.

إنه حوارىُّ رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب.

إنه الصحابى الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

إسلامه رضي الله عنه

لما بُعث النبى ﷺ كـان أول من دعاهم إلى الإسـلام والتوحيـد أهله وأقاربه فأسلم أكـثرهم وأعلن التوحيد للـه جل وعلا، وكان من بين هؤلاء الذين أسلموا: صفية بنت عبد المـطلب عمة رسول الله ﷺ وأسلم معها ابنها الزبير بن العـوام وكان صغيرًا فى السن. . وكان الزبيـر رغم صغر سنه إلا أنه كان يحب النبى ﷺ حبًا جمًا ويخشى عليه حتى من نسيم الهواء.

دفاعه عن النبى ﷺ

وفى يوم من الأيام سرت إشـاعة بين الناس أن الرسول ﷺ قُتل فـما كان من الزبير إلا أن أخذ سيفه وخرج على الناس كالإعصار المدمِّر يريد أن

يتثبت من الخبر فلقيه الحبيب ﷺ فقال: «مالك يا زُبير؟» قال: أُخبرت أنك قُتلت. فقال النبى ﷺ: «فكنت صانعًا ماذا؟» قال: كنتُ أضربُ به من أخذك. فدعا له ولسيفه[١].

صبره على الإيذاء فى سبيل الله

وعلى الرغم من شرفه ونسبه فى قومه إلا أنه أخذ حظه من الظلم والتعذيب والاضطهاد.

ولكن العجيب فى هذا الأمر أن الذى كان يتولى تعذيبه هو عمه فلقد علم عمه بخبر إسلامه فكان يُعلقه ويُدخِّن عليه ويُشعل النار من تحته حتى يتصاعد الدخان ويكاد الزبير أن يختنق من كثرة الدخان ومع ذلك كان يصبر ويتحمل ويقول: لن أرجع إلى الكفر أبدًا.

وظل الزبير ثابتًا أمام هذا التعذيب والإيذاء حتى أشار النبى ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فهاجر الزبير معهم الهجرة الأولى والهجرة الثانية لكنه لم يتحمل البُعد عن رسول الله ﷺ فآثر أن يعود ويقع تحت وطأة التعذيب فى مقابل ألا يُحرم من رؤية الحبيب ﷺ.

من مواقفه الجليلة فى الحبشة

وقبل أن نستكمل مشوار الزبير مع البذل والتضحية لهذا الدين العظيم كان لابد أن أذكر موقفًا واحدًا من مواقفه الجليلة فى بلاد الحبشة.

* فلقد عاش المسلمون فى بلاد الحبشة فى أمنٍ وأمان فى ظل ذلكم الملك العادل (النجاشى).

وظلوا على تلك الحالة من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة ليناز

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٣٦٠- ٣٦١) وانظر الاستيعاب (٣/ ٣١١).

النجاشى فى المُلك فحزن المسلمون لذلك حـزنًا شديدًا وخافوا أن يظهر ذلك الرجل عل النجاشى وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم.

وهنا أراد الصحـابة رضي الله عنهم أن يعرفوا أخـبار الصراع الدائـر بين النجاشى وبين هذا الرجل - على الجانب الآخر من النيل -.

قالت أم سلمة رضي الله عنها:

فقال أصـحاب رسول الله ﷺ: مَن رجلٌ يخرج حتى يحضـر وقيعة القوم ثم يأتينـا بالخبر؟ قـالت: فقال الزبيـر بن العوام: أنا، قـالوا: فأنت، وكان من أحدث القوم سنًا. قالت: فنفخـوا له قربة فجعلها فى صدره، ثم سبَح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حـضرهم.. قـالت: فدعـونا الله تعـالى للنجـاشى بالظهور على عـدوه، والتمكين له فى بلاده، قالت: فوالله إنا لعلى ذلك مـتوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبيـر وهو يسعى، فلـمع بثوبه وهو يقـول: ألا أبشروا قـقد ظفـر النجاشى، وأهلك الله عدوه، ومكَّن له فى بلاده [١].

فى صحبة الحبيب ﷺ

ولكن الزبيـر رغم الراحة والأمـان فى بلاد الحـبشـة آثر أن يرجع لينعم بصحبة الحبيب المصطفى ﷺ فعاد الزبير وتحمل العذاب فى سبيل الله إلى أن أذن النبى ﷺ لأصـحابه بالهجـرة إلى المدينة المنورة ثم هاجر خـلفهم ﷺ فكان الزبيـر ممن هاجر إلى المدينة وعـاش زمانًا فى صحـبة الحـبيب وتعلَّم بين يديه الكثيـر والكثير... ولقد كـان النبى ﷺ يحبه حبًـا جمًا حتى أنه كان يقول: «لكل نبىٍّ حوارىّ وحوارىّ الزبير» [٢][٣].

---

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧١٩) كتاب فضائل الصحابة، ومسلم (٢٤١٥) كتاب الفضائل.

(٣) الحوارى: هو الصاحب القريب إلى القلب المؤمن الصادق فى محبته وصُحبته.

جهاده فى سبيل الله (جل وعلا)

لقد بذل الزبير الكثير والكثير فى سبيل الله فلقد جعل نفسه وماله وقفًا لله عز وجل فأكرمه الله ورفعه فى الدنيا والآخرة.

* ولقد كان الزبير يقاتل قتالاً شديداً فكان لا يستطيع أن يقف أمامه أحد وكان من شدة قتاله قد أُصيب فى جسده بجروحٍ خطيرة وعميقة.

ومن تأمل وصف الصحابة ﷺ لجسد الزبير لعَلِمَ كيف كان يقاتل الزبير رضي الله عنه.

عن عروة قال: كان فى الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن فى عاتقه إن كنت لأُدخل أصابعى فيها ضُرب ثنتين يوم بدر وواحدة يوم اليرموك[١].

وعن على بن زيد قال: أخبرنى من رأى الزبير وإن فى صدره مثل العيون، من الطعن والرمى[٢].

جهاده فى غزوة بدر

ففى يوم بدر كان الزبير يقاتل قتال الأسود الضارية وكانت عليه عمامة صفراً فنزل جبريل عليه السلام على نفس هيئة الزبير بن العوام.

وفى يوم أحد

ورأى النبى يوم أحد رجلاً يقتل المسلمين قتلاً عنيفًا، فقال: «قم إليه يا زبير» فرقى إليه الزبير، حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه، فاعتنقه، فأقبلا ينحدران حتى وقعا إلى الأرض، فوقع الزبير على صدره وقتله»[٣].

---

(١) السير للإمام الذهبى (١/ ٥٢) وأخرجه البخارى (٧/ ١٠٠) فضائل الصحابة.

(٢) صفة الصفوة (١/ ١٤١).

(٣) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٣٥٨).

كان من الذين استجابوا لله وللرسول ﷺ

فإنه لما انصرف المشركون من أُحد، وأصاب النبى ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا فقال: من ينتدب لهؤلاء فى آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوةً، فانتُدب أبو بكر والزبير فى سبعين، فخرجوا فى آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا، . . . قال تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[١]. لم يلقوا عدوًّا[٢].

* ولذلك قالت أمنا عائشة لابن أختها عروة بن الزبير: يا ابن أُختى! كان أبواك - يعنى الزبير وأبا بكر - من ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾[٣].

وفى يوم الخندق

وفى غزوة الخندق كان المسلمون فى بلاءٍ شديد فلقد اجتمع عشرة آلاف مشرك حول المدينة يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين وفى نفس الوقت خان يهود بنى قريظة العهد مع رسول الله ﷺ وأرادوا أن يفتحوا الأبواب للمشركين ليقضوا على المسلمين فى المدينة.

فقام النبى ﷺ وقال: «من يأتينا بخبر بنى قريظة».

فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم، ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبى ﷺ: «لكل نبىٍّ حوارىّ، وحوارىَّ الزبير»[٤].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٧٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٠٧٧) كتاب المغازى، وأخرج مسلم الجزء الأول (٢٤١٨) كتاب الفضائل.

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٧٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧١٩) كتاب فضائل الصحابة - ومسلم (٢٤١٥) كتاب الفضائل.

قال على بن أبى طالب: أشجع الناس الزبير، . . . ولا يعرف قدر الرجال إلا الرجال.

* ولما خرج الزبير بن العوام لقتال يهود بنى قريظة الذين خانوا العهد مع رسول الله ﷺ وجد أمه صفية بنت عبد المطلب قد قتلت يهوديًا كان قد صعد إلى الحصن ليتجسس على نساء المسلمين.

وفاة الرسول ﷺ

وتمر الأيام وتأتى أصعب لحظة فى حياة الصحابة ﷺ يوم أن مات الرسول ﷺ فحزن الزبير حزنًا شديدًا لكن عزاءه أن النبى ﷺ قد مات راضيًا عنه.

* وبعد وفاة الرسول ﷺ تولى الخلافة أبو بكر الصديق ثم تولاها من بعده عمر بن الخطاب ﷺ وعن أبى بكر.

وكان الزبير بن العوام هو فارس الإسلام الذى لا يتأخر أبدًا عن أداء الواجب فى كل الفتوحات الإسلامية.

فقد كان دائمًا فى مقدمة الجيوش الإسلامية التى خرجت لتدعو الكون كله للدخول فى الإسلام ولتحقيق التوحيد لله عز وجل.

جهاده فى يوم اليرموك

وقد كان فيمن شهد اليرموك: الزبير بن العوام، وهو أفضل مَن هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون فقالوا: بلى، فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق

صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل فى الأولى، وجُرح يومئذ جرحين بين كتفيه[١].

وفى فتح مصر (شجاعة نادرة)

ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كانت معه قوات تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، فكتب إلى عمر بن الخطاب يطلب المدد من الرجال فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعُبادة بن الصامت، ومسلمة بن مُخلد، وكتب إليه: «**إنى أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف**» وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال[٢].

وحين قَدِم الزبير على (عمرو) وجده محاصراً حصن (بابليون) فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر فقيل للزبير: «إن بها الطاعون»، فقال: «إنما جئنا للطعن والطاعون»[٣].

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص فقال الزبير: إنى أهب نفسى لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سُلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفًا من أن ينكسر، فلما

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١١).

(٢) فتوح مصر والمغرب (ص ٦١) ومعجم البلدان (٦/ ٣٧٦)، وقادة فتح الشام ومصر (ص ٢٠٨، ٢٢٦).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٧) والبلاذرى (ص ٢١٥).

رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فَتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس[١].

* فكان هذا الفتح سببًا فى دخول الإسلام أرض مصر وبذلك يكون الزبير له جميل فى عنق كل مسلم على أرض مصر إلى يوم القيامة.

كان يسمى أولاده بأسماء الشهداء

لقد كان يحب الشهادة فى سبيل الله، ويبحث عنها فى مظانها حتى إنه من حبه للشهادة كان يسمى أولاده بأسماء الشهداء.

قال الزبير بن العوام: إن طلحة بن عبيد الله التيمى يسمى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبى بعد محمد ﷺ، وإنى أُسمِّى بَنَىَّ بأسماء الشهداء لعلهم أن يُستشهدوا... فسمَّى (عبد الله) بعبد الله بن جحش، (والمنذر) بالمنذر بن عمرو، (وعروة) بعروة بن مسعود، (وحمزة) بحمزة بن عبد المطلب، (وجعفرًا) بجعفر بن أبى طالب، (ومصعبًا) بمصعب بن عمير، (وعُبيدة) بعبيدة بن الحارث، (وخالدًا) بخالد بن سعيد، (وعمرًا) بعمرو بن سعيد بن العاص[٢].

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالزهد والورع والبذل والتضحية والفداء كان موعد الرحيل فى معركة الجمل... وذلك عندما قُتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فخرج الزبير مع طلحة بن عُبيد الله وأمنا عائشة للمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان ولم يكن قصدهم قتال على بن أبى طالب رضي الله عنه ولكنهم بعد أن

(١) قادة فتح الشام ومصر (ص ٢٠٩، ٢٢٧).

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ٧٤).

اتفقوا على الصلح أثار أعوان (عبد الله بن سبأ) الفتنة فى معسكر (على) من ناحية وفى معسكر طلحة والزبير وعائشة من ناحية أخرى وحدث بسببها معركة الجمل.

ولكن طلحة والزبير رضي الله عنهما اعتزلا تلك الحرب فلم يقاتلا، وذلك عندما رأيا (عماراً) يقاتل فى صف (على) فتذكرا قول النبى ﷺ لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[١].

وكان طلحة والزبير رضي الله عنهما فى جيش معاوية رضي الله عنه الذى يقاتل عماراً رضي الله عنه فخشيا من الخوض فى هذا القتال، ومما زاد حماسهما لاعتزال تلك الحرب قول على بن أبى طالب للزبير: يا زبير أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقاتله وأنت له ظالم؟ قال الزبير: أذكر، ثم مضى الزبير منصرفاً[٢].

فانسحب طلحة والزبير وقُتلا أثناء اعتزالهما لتلك الحرب، فأما الزبير فقد تعقَّبه رجل اسمه عمرو بن جرموز فقتله غدراً.

وأما طلحة فيقال: إنه جاءه سهم غرب - أى لا يُدرى من الذى رماه -.

وقيل: إن الذى رماه هو مروان بن الحكم.

قاتل الزبير فى النار

لقد أخبر الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ أن قاتل الزبير من أهل النار.

وأخبر الحبيب أن الزبير سيموت شهيداً.

فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩١٥) كتاب الفتن، وأحمد (٣/ ٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

فقال رسول الله ﷺ: «اسكنْ حراءُ! فما عليك إلا نبيٌ أو صدِّيق أو شهيد» وكان عليه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد ابن أبى وقاص رضي الله عنهم[١].

وها هو قاتل الزبير (ابن جرموز) - عليه من الله ما يستحقه - يستأذن على (علىٍّ) فقال: مَن هذا؟ فقال: ابن جرموز يستأذن: فقال: ائذنوا له. ليدخل قاتل الزبير النار. إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبى حوارى وإن حوارىّ الزبير»[٢].

وهكذا رحل الشهيد المبارك عن دنيانا ليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فى جنة الرحمن إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

* رضى الله عن الزبير وأرضاه وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٣٦٧) وصححه ووافقه الذهبى.

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابى الجليل.

إنه الرجل الذى شهد له النبى ﷺ بأنه من العشرة المبشرين بالجنة.

إنه الرجل الذى صلَّى خلفه النبى ﷺ فى غزوة تبوك.

إنه الرجل الذى شهد له النبى ﷺ بأنه هو الصادق البارُّ.

إنه الرجل الذى أنفق أمواله لخدمة الإسلام والمسلمين.

إنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم فى بطون أمهاتهم.

إنه الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

إسلامه رضي الله عنه

لقد بُعث النبى ﷺ بنعمة الإسلام والتوحيد لينقل الناس من الظلمات إلى النور.

وقام النبى ﷺ يدعو عشيرته الأقربين فأسلم أهله وبعض أصحابه وكان على رأسهم أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه الذى لما أسلم قام يحمل أمانة هذا الدين ويدعو كل من حوله للدخول فى هذا الدين العظيم.

وكان أبو بكر فى بداية دعوته يبحث عن أصحاب الأخلاق والمروءات حتى يعرض عليهم الإسلام.

وكان من بين هؤلاء الأفاضل رجل اسمه عبد عمرو بن عوف من بنى زُهرة (أخوال النبى ﷺ).

فعرض عليه أبو بكر الإسلام فأسلم فى التو واللحظة ولم يتردد أبدًا فى أن يُعلن إسلامه، وكان عبد عمرو قد أسلم بعد أبى بكرٍ بيومين اثنين فقط.

ولم يصبر عبد عمرو حتى طلب من أبى بكر أن يأخذه معه إلى رسول الله ﷺ فأخذه أبو بكر وذهب به إلى النبى ﷺ فلما رآه عبد عمرو بكى من شدة الفرح لرؤية رسول الله ﷺ.

وهنا سأله رسول الله ﷺ عن اسمه.

فقال له: اسمى عبد عمرو بن عوف.

فقال له النبى ﷺ: «بل اسمك عبد الرحمن بن عوف».

ففرح عبد عمرو باسمه الجديد «عبد الرحمن بن عوف».

وجعل اسمه القديم فى طى النسيان.

* وهكذا كان عبد الرحمن بن عوف من السابقين إلى الإسلام فهو الرجل الثامن من الذين أسلموا فى هذه الأمة.

* وبدأ النبى ﷺ يوسع دائرة دعوته حتى أسلم عدد آخر من أهل مكة.... وأراد النبى ﷺ أن يجتمع بهم فى مكان لا يراه أحد من قريش حتى يُعلمهم أمور دينهم فلم يجد أفضل من دار الأرقم بن أبى الأرقم.

فكان يذهب إلى تلك الدار سرًا ويتسلل إليه أصحابه دون أن تدرى قريش بذلك حتى يُعلمهم تعاليم الإسلام.

وكان عبد الرحمن بن عوف أحد الذين كانوا يذهبون إلى النبى ﷺ فى دار الأرقم حتى يسمع النبى ﷺ ويتعلم منه الخير كله.

صبره على الإيذاء

ولما علم المشركون بإسلام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه آذوه إيذاءًا شديدًا وأذاقوه من العذاب ألوانًا فهاجر الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة فرارًا

بدينه من الإيذاء والتعذيب.

لكنه لم يستطع أن يصبر على فراق النبى ﷺ أكثر من ذلك فقد كان يحب النبى ﷺ أكثر من نفسه، فما كان منه إلا أن عاد مرة أخرى إلى مكة ليذوق العذاب مرة أخرى.

لكن كل ذلك يهون فى سبيل أن يكون فى صُحبة النبى ﷺ.

ولما اشتد الإيذاء والتعذيب أذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة) فكان عبد الرحمن بن عوف ممن هاجروا إلى المدينة المنورة وبعد ذلك بفترة يسيرة هاجر خلفهم النبى ﷺ فسَعِد به عبد الرحمن سعادة غامرة وعاش فى صُحبته أجمل أيام حياته.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وهناك فى المدينة المنورة آخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار وكان سعد بن الربيع من نصيب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فلقد آخى النبى ﷺ بينهما.

وكان سعد بن الربيع من الأثرياء فما كان منه إلا أن أخذ عبد الرحمن ابن عوف إلى بيته وأخرج له مالاً كثيراً وقال له: يا عبد الرحمن إنى لمن أكثر الأنصار مالاً فخذ هذا المال واقسمه بينى وبينك نصفين وعندى زوجتان فانظر إليهما واختر واحدة منهما أُطلقها لك فإذا مرّت عدتها تزوجتها أنت.

فلما رأى عبد الرحمن كل هذا الجود والكرم والإيثار قال له: يا سعد بن الربيع بارك الله لك فى أهلك ومالك لا أريد شيئًا ولكن دُلَّنى على السوق فدلَّه على السوق.

فخرج عبد الرحمن يتاجر ويبيع ويشترى ويجتهد فى كسب اللقمة

الحلال وإذا بالنبى ﷺ يسمع أن عبد الرحمن بن عوف قد أصبح عنده مال وأنه قد تزوج.

فذهب النبى ﷺ ليهنئ عبد الرحمن ثم قال له: «تزوجت يا ابن عوف».

قال: بلى يا رسول الله.

فقال النبى ﷺ: «فكم دفعت مهراً لزوجتك».

فقال عبد الرحمن: دفعت لها وزن نواة من الذهب يا رسول الله.

فقال النبى ﷺ: «اذبح ولو شاة واحدة لإخوانك المسلمين بارك الله لك فى مالك».

وبالفعل قام ابن عوف وذبح شاة وطبخها وجمع إخوانه المسلمين على تلك الوليمة فأكلوا ودعوا له ولزوجه بكل خير.

واستجاب الله دعاء النبى ﷺ لعبد الرحمن بن عوف فأصبح بعد ذلك من أكثر أهل المدينة مالاً.

جهاده فى سبيل الله (جل وعلا)

ولقد شَهِد عبد الرحمن بن عوف كل المشاهد والغزوات مع رسول الله ﷺ ولم يتأخر أبداً عن أى غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

ففى يوم بدر خرج عبد الرحمن بن عوف مجاهداً يبحث عن النصر أو الشهادة فقاتل قتالاً شديداً حتى آخر لحظة فى تلك الغزوة وعاد مع المسلمين وهو فى قمة السعادة لانتصار المسلمين على هؤلاء المشركين.

* وفى يوم أحد كان عبد الرحمن بن عوف من الأبطال الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ وأخذ يدافع عن النبى ﷺ حتى أُصيب بجراحات كثيرة فى جسده ولا عجب فى ذلك فهو الذى يتمنى أن يفدى النبى ﷺ بنفسه.

* وما من غزوة غزاها رسول الله ﷺ بعد ذلك إلا كان عبد الرحمن

فى طليعة هؤلاء المجاهدين الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم لله جل وعلا.

* بل وفى غزوة تبوك حدثت منقبة عظيمة لعبد الرحمن بن عوف فقد مضى الجيش إلى تبوك وأُقيمت الصلاة وكان النبى ﷺ قد ذهب ليتطهر فلما جاء إلى الجيش وجدهم قد قدَّموا عبد الرحمن بن عوف ليصلى بهم فجاء النبى ﷺ فصلى خلف عبد الرحمن بن عوف فلما سلَّم عبد الرحمن قام رسول الله ﷺ يُتم صلاته فأفزع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح فلما قضى النبى ﷺ صلاته أقبل عليهم ثم قال: «أحسنتم»[١] وذلك لأنهم صلوا الصلاة لوقتها... وبذلك كانت أعظم منقبة فى حياة ابن عوف بأن صلى خلفه رسول الله ﷺ.

إنفاقه فى سبيل الله (جل وعلا)

لقد عاش الصحابة رضي الله عنهم مع كل آية من آيات القرآن الكريم، بل وتعايشوا معها.

فها هو عبد الرحمن بن عوف يستمع إلى قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٢].

وإلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣].

فيُسرع الخُطا لينفق ماله لله جل وعلا رغبة فيما عند الله وزهدًا فى تلك الدنيا الفانية التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

* وستعجبون يا أحبابى إذا علمتم أن عبد الرحمن كان ينفق على أكثر أهل

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤) كتاب الصلاة.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١١١).

المدينة فلقد كان ينفق على ثُلث أهل المدينة وكان يقضى ديون الثلث الثانى ويُقرض ماله للثلث الأخير من أهل المدينة فكان أكثر ماله يُنفَق على أهل المدينة.

وكان قد أوصى بعطاءٍ خاصٍ للبدريين الذين شهدوا غزوة بدرٍ.

* بل لقد تصدقَ عبدُ الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله، ثم تصدق بعد ذلك بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله وخمسمائة راحلة، وكان أكثر ماله من التجارة وقيل: إنه أعتق فى يومٍ واحد ثلاثين عبداً[١].

* بل وفى يوم من الأيام قال النبى ﷺ: «خيركم خيركم لأهلى من بعدى»[٢] فما كان من عبد الرحمن بن عوف إلا أن باع حديقة بأربع مائة ألف وقسَّمها فى أزواج النبى ﷺ.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: «إن الذى يحنو عليكن بعدى لهو الصادق البار. اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة»[٣][٤].

* بل وفى يوم من الأيام طلب النبى ﷺ من أصحابه أن يتصدقوا لتجهيز جيش العُسرة الذى كان سيخرج إلى غزوة تبوك.

فجاء أبو بكر بكل ماله... وجاء عمر بنصف ماله... وجاء عثمان بن عفان بمالٍ وفير حتى قال عنه النبى: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم»... وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتى أوقية من الذهب ووضعها فى حجر

---

(١) الإصابة/ للحافظ ابن حجر (٤/ ٩١).

(٢) حسن: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٥٢) وقال: صحيح على شرط مسلم. والخطيب (٧/ ٢٧٦). وابن أبى عاصم (٢/ ٦١٦)، وأبو يعلى (١٠/ ٣٣٠)، قال الهيثمى (٩/ ١٧٤): رجاله ثقات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٨٤٥).

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٣١١- ٣١٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٤) قال الهيثمى: رواه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات - مجمع الزوائد (١٤٨٩٨).

رسول الله ﷺ حتى كان الناس ينظرون إليه ويتعجبون من كثرة جوده وكرمه.

* ولما توفى الرسول ﷺ كان راضيًا عن عبد الرحمن بن عوف وكان يدعو له بالبركة فى ماله... فما زال ماله يزيد وينمو ببركة دعاء النبى ﷺ.

وفى يوم من الأيام جاءت بعض القوافل التجارية لعبد الرحمن بن عوف من اليمن والشام وكانت عبارة عن تسعمائة ناقة مُحمَّلة بالبضائع فلما مرت أمام غرفة أمنا عائشة اهتزت الغرفة فظنت عائشة أنه زلزال ولكن النساء أخبرنها بأنها أصوات قافلة عبد الرحمن بن عوف.

فقالت أمنا عائشة: أجل والله فهذا الذى يدخل الجنة بماله.

فلما وصلت تلك المقالة لعبد الرحمن بن عوف ذهب إلى أمنا عائشة وقال لها: يا أُماه أنت التى قلتِ كذا وكذا.

قالت: أجل.

قال: أُشهدك أنى قد جعلتها كلها لله جل وعلا.

زهده فى الدنيا رضي الله عنه

ومع كل هذه الأموال والثروات فقد كان زاهدًا فى هذه الدنيا الزائلة فقد كان المال فى يده وليس فى قلبه.

وفى يوم من الأيام كان عبد الرحمن صائمًا فأحضروا له الطعام عند الإفطار فنظر إلى الطعام فبكى وقال: قُتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خيرٌ منى كُفِّن فى بُردة إن غُطِّى رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّى رجلاه بدا رأسه - أى ظهر رأسه - وقُتل حمزة رضي الله عنه وهو خير منى، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط، أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عُجِّلت لنا، ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام[1].

(١) صحيح: رواه البخارى (١٢٧٥) كتاب الجنائز.

* ولم يكن زاهدًا فى المال فحسب بل كان زاهدًا فى الإمارة والخلافة.

فها هو عثمان بن عفان لما مرض دعا رجلاً اسمه (حُمران) وقال له: اكتب لعبد الرحمن العهد من بعدى ليكون خليفة على المسلمين.

فكتب له... وانطلق حُمران إلى عبد الرحمن وقال له: جئتك بالبشرى.

قال عبد الرحمن: وما هى البشرى.

حُمران: لقد كتب أمير المؤمنين العهد لك من بعده لتكون أميرًا للمؤمنين.

فقام عبد الرحمن بين القبر والمنبر ودعا وقال: اللهم إنك تعلم أنّى لا أريد شيئًا من ذلك فإن كان عثمان يريد منى أن أكون خليفة على المسلمين فأمتنى قبله فلم يمكث عبد الرحمن بن عوف بعد ذلك إلا ستة أشهر حتى مات.

وأراحه الله من أن يشهد الفتن التى حدثت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالزهد والورع والحلم والتواضع والبذل والجود والإيثار نام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على فراش الموت وفاضت روحه إلى بارئها جل وعلا.

لقد رحل عن هذه الحياة بكل هدوء ليلحق بالنبى ﷺ وأصحابه فى جنات النعيم التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* ولقد حدث مشهد عجيب قبل موته بشهر يرويه لنا ابنه إبراهيم فيقول: غُشى على عبد الرحمن بن عوف فى وجعه حتى ظنوا أنه قد

فاضت نفسه حتى قاموا من عنده، وجللوه، فأفاق يُكبِّر، فكبَّر أهل البيت، ثم قال لهم: غُشي عليَّ آنفًا؟ قالوا: نعم، قال: صدقتم! انطلق بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدة وفظاظة فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقيا رجلاً، قال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين فقال: ارجعا، فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه سيُمتَّع به بنوه إلى ما شاء الله، فعاش بعد ذلك شهرًا[1].

* لقد مات عبد الرحمن بن عوف ولكن لم ولن تموت سيرته العطرة رضي الله عن عبد الرحمن بن عوف وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٠٧) وقال البوصيري: إسناده صحيح.

سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه

سعد بن أبى وقاص

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابى الجليل.

إنه الصحابى الذى أسلم مبكرًا حتى أنه مرَّ عليه سبعة أيام وهو ثُلث الإسلام.

إنه أول من رمى بسهمٍ فى سبيل الله جل وعلا.

إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

إنه خال رسول الله ﷺ الذى قال له النبى ﷺ: «فداك أبى وأمى» (١).

إنه بطل القادسية وفاتح المدائن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

مَن هو سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه؟

ولعلك يا بُنى تسأل: من هو سعد بن أبى وقاص؟

فأقول لك: إنه سعد بن أبى وقاص بن وهيب. وكان وهيب جد سعد هو عم آمنة بنت وهب (أم النبى ﷺ) ولذلك كان الناس يعرفون سعدًا بأنه خال رسول الله ﷺ.

وكان سعد يعيش فى قبيلة بنى زُهرة وهم أخوال رسول الله ﷺ.

إسلامه رضي الله عنه

لقد كان سعد رضي الله عنه من أكرم فتيان مكة وأشرفهم نسبًا وكان يرى فساد أهل الجاهلية فيحترق قلبه حزنًا على حال الناس من حوله فقد كان العرب قبل بعثة النبى ﷺ على أسوأ حال عرفته البشرية على مدى العصور والأزمان.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٠٥) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤١١) كتاب فضائل الصحابة.

فكان سعد يتمنى أن يحدث أى شىء فى هذا الكون ليكون سببًا لإنقاذ البشرية من الظُّلمات إلى النور.

وأراد الله جل وعلا الخير بهذه الأمة فأشرق نور الوحى فى أرجاء مكة ليُضئ للكون كله طريقه إلى الله.

نعم.... لقد بُعث النبى محمد ﷺ وجاء ليُخرج الناس من الظُّلمات إلى النور وعلى الرغم من أن سعدًا كان يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا إلا أنه كان عاقلاً لبيبًا.. فلم يكن من الشباب الذين يقتلون أوقاتهم فى اللهو واللعب وإنما كان يقضى وقته فى إعداد السهام والتدرُّب على الرماية وممارسة الرياضة.

فلما سمع بخبر بعثة النبى ﷺ لم يتأخر لحظة واحدة بل ذهب فى التو واللحظة ووضع يده فى يد النبى ﷺ وأعلن إسلامه لله جل وعلا فهو الذى يعرف النبى ﷺ قبل البعثة ويعرف أنه الصادق الأمين.

فأسلم سعدٌ مبكرًا حتى أنه كان يقول: ما أسلم أحدٌ فى اليوم الذى أسلمت فيه ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثُلث الإسلام.

ثباته على الحق

ولكن إسلام سعد بن أبى وقاص لم يكن سهلاً هينًا بل تعرض هذا الصحابى الجليل لابتلاءٍ شديد لم يكن يخطر على باله.... لدرجة أنه من شدة ابتلائه أنزل الله فى شأنه قرآنًا.

فلقد كان سعد من أبرِّ الناس بأمه فلما أسلم قالت له أمه: يا سعد كيف تترك دين الآباء والأجداد وتعتنق دينًا جديداً لا نعرفه؟! إما أن تترك هذا الدين أو أمتنع عن الطعام والشراب حتى أموت فتُعيرك العرب بأنك أنت الذى قتلت أمك.

وأصرت الأم على موقفها لأنها تعلم أن ابنها يحبها حبًّا جمًا فكانت

تظن أنه سيرقُّ قلبه لها وسيترك دينه من أجلها.

فقال لها سعد: والله يا أُماه إنى مع شدة حبى لك لأشد حبًّا لله فلو كانت لك مائة نفسٍ فخرجت نفسًا بعد نفسٍ ما تركت هذا الدين أبدًا فإن شئتِ فكُلى أو لا تأكلى.

فلما أيقنت هذه الأم أن ابنها لن يترك هذا الدين أكلت وأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[١].

فى رحاب الحبيب المصطفى ﷺ

ولقد عاش سعد رضي الله عنه فى رحاب الحبيب المصطفى ﷺ وتعلَّم بين يديه الخير كله.

وكان سعد يحب النبى ﷺ حبًّا جمًّا حتى أنه كان يتمنى أن يفدى النبى ﷺ بنفسه وولده وماله والدنيا كلها.

وها هى أمنا عائشة رضي الله عنها تخبر أنه فى يوم من الأيام أُصيب النبى ﷺ بأرقٍ فقال: «ليت رجلاً صالحًا من أصحابى يحرسنى الليلة»، قالت: فسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله: «مَنْ هذا؟» قال سعد بن أبى وقاص: أنا يا رسول الله جئت أحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعتُ غطيطه[٢].

* ولقد كان النبى ﷺ يبادله هذا الحب.

ففى يوم من الأيام كان النبى ﷺ جالسًا مع أصحابه فجاء سعد بن أبى وقاص فقال النبى ﷺ: «هذا خالى فليُرنى امرؤٌ خاله»[٣].

---

(١) سورة لقمان: الآية: (١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٨٥) كتاب الجهاد، ومسلم (٢٤١٠) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٥٢) كتاب المناقب، والحاكم (٣/ ٤٩٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه ووافقه الذهبى وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٩٩٤).

* بل وفى يوم من الأيام كان النبى ﷺ مع بعض أصحابه فوق جبل حراء فاهتز الجبل فقال له النبى ﷺ : «اثبت حراء فإنما عليك نبيٌّ أو صِدِّيق أو شهيد» وكان عليه النبى ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد.

* بل لما سمع النبى ﷺ بمرض سعد بن أبى وقاص ذهب إليه ليزوره ووضع يده على جبهة سعدٍ ومسح على وجهه وبطنه وقال: «اللهم اشفِ سعداً وأتمم له هجرته»(١).

* وكان سعد رضي الله عنه هو أول من رمى بسهم فى سبيل الله فقد بعث النبى ﷺ سرية فيها سعد بن أبى وقاص إلى مكان فى الحجاز يُدعى (رابغ) فأقبل المشركون على المسلمين فحماهم سعد يومئذ بسهامه فكان هذا أول قتال فى الإسلام وكان سعدٌ أول من رمى بسهمٍ فى سبيل الله.

صبره على الإيذاء

ولقد تعرض سعد بن أبى وقاص لإيذاءٍ شديد من المشركين ومع ذلك كان صابراً محتسبًا.

ولما دخل النبى ﷺ شِعب أبى طالب فى تلك المقاطعة الظالمة التى فعلها المشركون مع المسلمين.... دخل سعد مع النبى ﷺ وظل معه فى الشِّعب ثلاث سنوات حتى أكل ورق الشجر.... وظل مع النبى ﷺ حتى كشف الله هذه الغُمة وهاجر بعدها سعدٌ إلى المدينة المنورة وعاش هناك فى رحاب الحبيب ﷺ.

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٥٩) كتاب المرضى، ومسلم (١٦٢٨) كتاب الوصية.

جهاده في سبيل الله (جل وعلا)

ولقد شهد سعد بن أبي وقاص كل المشاهد والغزوات مع رسول الله ﷺ ولم يتأخر عنه أبداً.

* ففي يوم بدر كان سعدٌ يقاتل قتالاً شديداً... وكان معه في تلك الغزوة أخوه الصغير (عُمير بن أبي وقاص) الذي لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره فلما أراد النبي ﷺ أن يردَّه عن الجهاد لصغر سنه بكى عُمير فقال سعد للنبي ﷺ: دعه يا رسول الله لعل الله أن يرزقه الشهادة في سبيله.

فدخل عُمير يقاتل حتى قُتل شهيداً... وانتصر المسلمون في غزوة بدرٍ انتصاراً ساحقًا.

وعاد سعد من تلك الغزوة بجراحه وأفراحه.

فقد كان سعيداً بانتصار المسلمين لكنه كان حزينًا لقتل أخيه الصغير عُمير ابن أبي وقاص.

* وفي غزوة أُحد كان النصر في بداية الأمر للمسلمين.... فلما عصى الرُّماة أمر رسول الله ﷺ ونزلوا من على الجبل انقضَّ المشركون على المسلمين وقتلوا سبعين من الصحابة الأبرار وأرادوا بعد ذلك أن يقتلوا النبي ﷺ فنادى النبي ﷺ على أصحابه فاجتمع حوله سبعة من الأنصار واثنان من المهاجرين هما: سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عُبيد الله رضي الله عنهم أجمعين.

فكان سعدٌ يرمي بالسهام دفاعًا عن رسول الله ﷺ حتى أن النبي ﷺ كان يناوله السهام ويقول له: «**يا سعد ارم فداك أبي وأمي**»[1].

وكان هناك رجلٌ من المشركين قد أصاب عددًا كبيرًا من المسلمين فقال النبي ﷺ لسعد: «**ارم فداك أبي وأمي**».

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٠٥) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤١١) كتاب فضائل الصحابة.

قال سعد: «فنزعت بسهم ليس فيه نصل، فأصبتُ جبهته، فوقع وانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه» (١).

*بل إنه ﷺ رأى الملائكة يوم «أحد».

عن سعد ﷺ قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثيابٌ بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد» (٢).

*وعاد سعدٌ من غزوة أحد بجراحه وأفراحه... فقد كان حزينًا لقتل هؤلاء الصحابة الأبرار... وفى نفس الوقت كان سعيدًا لفوزه بدعاء النبى ﷺ عندما قال: «اللهم سدِّد رميته وأجب دعوته». فكان سعد يرمى بالسهم لا يخطئ أبدًا بل يصيب عدوه... وكان مستجاب الدعاء فكان لا يدعو دعوة إلا استجاب الله دعوته.

وظل سعد ﷺ يشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ثابتًا حتى توفى رسول الله وبقى سعد على عهده الذى كان عليه يشهد المشاهد مع أبى بكر وعمر ﷺ جميعًا حتى كانت الفتوحات الإسلامية فى عهد عمر ﷺ وهنا قام سعد ﷺ كالأسد الضارى يشق صفوف الأعداء ليحقق للإسلام أعظم الانتصارات.

بطل القادسية

وتمر الأيام وقام الفُرس يتجهزون لقتال المسلمين فجمعوا لهم أعدادًا كبيرة من المقاتلين.

فأراد عمر بن الخطاب ﷺ أن يخرج بنفسه للجهاد ولقيادة جيش المسلمين ولكن بعض الصحابة أشاروا عليه أن يبقى بالمدينة وأن يولى رجلاً

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٢) كتاب الفضائل باب مناقب سعد.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٥٤) كتاب المغازى، ومسلم (٦٠٢٣) كتاب الفضائل.

آخر لقيادة الجيش.

وبينما هو يشاور أصحابه في هذا الأمر إذ وصل إليه خطاب من سعد بن أبي وقاص- وكان سعد قد أرسله عمر ليجمع الصدقات من قبيلة هوازن-.

فلما رأى عمر الخطاب قال للناس: لقد وجدت من يقود الجيش.

قالوا: من هو يا أمير المؤمنين؟

قال: إنه الأسد المغوار سعد بن أبي وقاص.

واستدعى (عمر) سعد بن أبي وقاص وكلَّفه بقيادة الجيش وأوصاه بمن معه خيراً ثم قال له: يا سعد لا يغرنَّك أن قيل لك: «إنك خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ﷺ فإنه ليس بيننا وبين الله نسب إلا بالتقوى».

وخرج البطل سعد بن أبي وقاص بالجيش وهم يقولون: حسبُنا الله ونعم الوكيل... وأخذ سعد ينظم الجيش ويحضهم على طاعة الله.

ووصل الجيش إلى القادسية فأرسل سعد بعض أصحابه ليعلموا له خبر جيش أهل فارس... ثم أرسل وفوداً إلى كسرى ملك الفرس وإلى رستم قائد جيوش الفرس ليفاوضوهم ويعرضوا عليهما مطالب المسلمين: الإسلام أو الجزية أو القتال فكان لهذه الوفود تأثير معنوي كبير على كسرى وقائده رستم.

* وتهيأ المسلمون للقتال... وكان سعد يعاني من آلامٍ شديدة لكنه تحامل على نفسه وقاد الجيش أمام الفرس ولكنه لم يستطع أن يقاتل بل جلس على صخرة عالية يُشرف على الناس ويرسم لهم خطط الحرب ضد الفرس.

واستمر الجهاد أمام الفرس ثلاثة أيام وكتب الله النصر الكبير للمسلمين في معركة القادسية وغنموا غنائم كثيرة.

وكتب سعد إلى عمر بن الخطاب ليخبره ويبشره بالنصر على الفرس ففرح عمر فرحًا شديداً وسجد شكراً لله جل وعلا.

العبور على النهر بالخيول

ثم كتب عمر بن الخطاب لسعد بن أبى وقاص يأمره بأن يتحرك بالجيش لفتح (المدائن) عاصمة (كسرى).

فتحرك الجيش المنتصر باتجاه المدائن... وسار المسلمون من نصر إلى نصر حتى أصبحوا على شاطئ نهر دجلة فى الجهة المقابلة للمدائن فأراد سعد أن يحمل المسلمين عل السفن للعبور إلى المدائن ولكن الفرس ضمُّوا السفن ليحرموا المسلمين من العبور على السفن.

ولما أقبل الليل نام المسلمون فرأى سعدٌ فى منامه أن خيول المسلمين تعبر نهر دجلة... فلما أصبح جمع الجيش وقال لهم: إنى قد عزمت على أمرٍ.

قالوا: على أى شىء عزمت.. عزم الله لنا ولك على الرشد.

فقال: إنى عزمت على أن نعبر نهر دجلة بالخيول.

فقالوا: ونحن معك إن شاء الله.

* وعبر المسلمون نهر دجلة بالخيول وكانوا يتحدثون فى النهر كما كانوا يتحدثون فى البر فلما رآهم ملك الفرس هرب من قصره وهو يقول للفرس: والله ما تقاتلون الإنس وإنما تقاتلون الجن.

وعبر المسلمون النهر وفتحوا المدائن ودخلوا قصر ملك الفرس ودخلوا إيوان كسرى وجمعوا غنائم كثيرة لا يُحصى عددها... وهكذا كتب الله النصر للمسلمين على يد هذا القائد العظيم سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.

الله يستجيب دعاءه

وكان النبى ﷺ قد دعا لسعدٍ وقال: «اللهم استجب لسعدٍ إذا دعاك»[(١)].

فكان سعد مستجاب الدعاء.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٥١) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٧٥١).

وكان عمر بن الخطاب قد جعل سعداً والياً على الكوفة فشكا أهل الكوفة سعداً فعزله عمر واستعمل عليهم عمار بن ياسر رضي الله عنه.

ولكن عمر أراد أن يستوثق من شكوى أهل الكوفة فأرسل سعد بن أبى وقاص وأرسل معه رجالاً إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفًا حتى دخل مسجداً لبنى عبس، فقام رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية... قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءً وسمعة فأطِل عمره وأطل فقره وعرِّضه للفتن.

فطال عمر هذا الرجل حتى سقط حاجباه على عينيه من كبر سنه وعاش فقيراً طوال عمره وكان يقف فى الطرقات يتعرض للبنات... فلما سُئل عن ذلك قال: شيخٌ مفتون أصابتنى دعوة سعد.

* بل ها هو موقف آخر يوضح لنا كيف أن الله كان يستجيب لسعدٍ إذا دعاه.

عن قيس بن أبى حازم قال: كنت بالمدينة فبينما أنا أطوف فى السوق إذ بلغت أحجار الزيت فرأيت قومًا مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم على بن أبى طالب والناس وقوف حواليه إذ أقبل سعد بن أبى وقاص فوقف عليهم فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم على بن أبى طالب فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه فقال: يا هذا علام تشتم على بن أبى طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ ألم يكن زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ فى غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم إن هذا يشتم وليًا من أوليائك فلا

تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك. . . قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته فى تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات.

فأعتق سعدٌ نسمة وحلف أن لا يدعو على أحدٍ بعد ذلك.

اعتزاله للفتنة

لما قُتل عمر وسأله الناس وهو فى لحظات حياته الأخيرة من الذى تستخلفه من بعدك؟.

فأشار عليهم أن يختاروا الخليفة من بين ستة من الصحابة كان على رأسهم سعد ابن أبى وقاص. . . حتى قال لهم عمر: إن أصابت سعداً وإلا فليستعن به الخليفة من بعدى فإنى لم أعزل سعداً عن الكوفة بسبب ضعف أو خيانة.

فلما استُخلف عثمان بن عفان ﷺ أمَّر سعداً على الكوفة مرة أخرى.

* ولما قُتل عثمان وحدثت الفتنة بين الصحابة ما كان من سعدٍ إلا أن اعتزل الفتنة وقال: لا أقاتل حتى تأتونى بسيفٍ له عينان ولسان فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر.

أى أنه رفض أن يقاتل مسلمًا ولم يشترك فى هذه الفتنة التى وقع فيها الصحابة دون قصدٍ منهم وإنما كانت بمكرٍ وخديعة من أعداء الإسلام الذين قتلوا عثمان بن عفان ﷺ.

زهده فى الإمارة

وكان سعد ﷺ لا يطمع فى أى شىء من حطام الدنيا فهو يعلم أن كل نعيم دون الجنة فهو سراب، وأن كل عذاب دون النار فهو عافية. . . فكان لا تطمح نفسه إلا فى جنة الرحمن جل وعلا.

عن عامر بن سعد أنَّ أباه سعداً، كان فى غنمٍ له فجاء ابنه عمر فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما انتهى إليه، قال: يا أبتِ أرضيت أن تكون أعـرابيًا فى غنمك، والناسُ يتنازعـون فى المُلك بالمدينة، فـضرب صدر عمر، وقال: اسكت، فـإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يحب العبد التقى الغنى الخفى» (١).

صبره على البلاء

لما قَـدِم سعـد بن أبى وقاص مكـة، وقد كـان كُفَّ بصره جـاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له... فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة.

فقـال له شاب اسمـه عبد الـله بن السائب: يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنـفسك فردَّ اللـه عليك بصرك؟! فـتبسم وقـال: يا بُنى قضـاءُ الله سبحانه عندى أحسن من بصرى (٢).

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضـحية والجهاد فى سبيل الله نام سعد رضي الله عنه على فراش الموت ليُـسلم روحه إلى بارئها جل وعلا وليلحق بـالحبيب ﷺ فى جنة الرحمن... فهو من العشرة المبشرين بالجنة.

عن مصعب بن سـعد أنه قال: كان رأس أبى فى حجرى، وهو يقضى. فبكيت، فرفع رأسه إلىَّ، فقال: أى بُنى ما يُبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبكِ فإن الله لا يعذبنى أبدًا. وإنى من أهل الجنة (٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٥) كتاب الزهد.

(٢) الإحياء (٤/ ٣٦٨).

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ١/ ١٠٤) نقلاً من السير للذهبى (١/ ١٢٢).

* ولما كان اليوم الذي توفي فيه سعد قال لأولاده: إن لي جُبة من صوف كنت قد لقيت المشركين فيها يوم بدر فكفنوني فيها فإني أحب أن ألقى الله بها فقد خبأتُها لهذا اليوم.

ومات سعد في قصره بالعقيق على بُعد عشرة أميال من المدينة فحُمل على رقاب الرجال إلى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ والي المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبي ﷺ في حُجرهن، ودُفن بالبقيع[1].

رضي الله عن سعد بن أبي وقاص وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

(١) صفة الصفوة (١/ ١٤٧).

سعید بن زید رضی اللہ عنہ

سعيد بن زيد رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع صحابى جليل كان من السابقين الأولين ومن الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

بشَّره النبى ﷺ بأنه من العشرة المبشرين بالجنة.

إنه الرجل الذى شهد مع النبى ﷺ كل الغزوات ما عدا غزوة بدر فقد كان فى مهمة كلَّفه بها رسول الله ﷺ . . . وشهد حصار دمشق وفتحها فولاه عليها أبو عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

لقد كان زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد فريدًا فى عصره وزمانه فقد كان الناس يعبدون الأصنام وهو يعبد الواحد الديان فخرج من صُلبه هذا الابن المبارك (سعيد بن زيد) ليكون واحدًا من العشرة الذين بشرهم النبى ﷺ بالجنة.

وكان زيد بن عمرو يُحيى الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها فإذا ترعرعت، قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها[1].

وكان يعيب على قريش، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من

(١) أخرجه البخارى معلقًا (٣٨٢٨) فى المناقب - والحاكم ووصله وصححه (٣/ ٤٠٤) ووافقه الذهبى.

السماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟.

وحتى نسعد بتلك السيرة العطرة فتعالوا بنا لنرى كيف كان حال زيد بن عمرو وما هى قصته لنعرف كيف خرجت تلك الثمرة من أغصان هذه الشجرة المباركة.

رحلة التوحيد

ففى يوم من الأيام اجتمعت قريش فى عيدٍ لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يُعظمونه ويذبحون له ويعكفون عنده. . . وكان ذلك عيداً لهم كل سنة.

فاجتمع أربعة منهم بعيداً عن هؤلاء القوم: وهم زيد بن عمرو بن نُفيل وورقة بن نوفل وعُبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث.

فقال بعضهم لبعض: إنكم تعلمون أن قومكم ليسوا على الحق فقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم. . . فكيف نطوف بحجر لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يُبصر. . . فهيا نطوف فى البلدان بحثًا عن الدين الحق.

فأما ورقة بن نوفل فقد اعتنق النصرانية.

وأما عُبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمًا، فلما قَدِمها تنصَّر، وفارق الإسلام حتى هلك هنالك نصرانيًّا.

وأما عثمان بن الحويرث فقَدِم على قيصر ملك الروم فتنصَّر، وحَسُنت منزلته عنده.

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تُذبح على

الأوثان، ونهى عن قتل الموءودة وقال: أعبدُ ربَّ إبراهيم.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفيل شيخًا كبيرًا مُسندًا ظهرهُ إلى الكعبة وهو يقول: يا معشر قريش، والذى نفسُ زيد بن عمرو بيده، ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى، ثم يقول: اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه، ثم يسجد على راحته.

* وكان زيد بن عمرو بن نُفيل هو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يعيش قبل بعثة النبى ﷺ وكان على الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام وكان الخطَّاب والد عمر يؤذيه كثيرًا ويعذبه لأنه لا يعبد الأصنام التى يعبدونها من دون الله جل وعلا وكان يعاتبه على فراق دين قومه.

وفى يوم من الأيام وكَّل به شبابًا من شباب قريش وسُفهائهم.

وقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة... فكان لا يدخل مكة إلا سرًا.

* وفى يوم من الأيام خرج زيد بن عمرو بحثًا عن الدين الحق.

وظل يطوف البلدان حتى وصل إلى بلاد الشام وهناك التقى براهب من أعلم الناس بالنصرانية فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم؛ فقال: إنك لتطلبُ دينًا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظل زمانُ نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحق بها، فإنه مبعوثٌ الآن، هذا زمانه.

* وبينما هو فى الطريق إلى مكة كان النبى ﷺ قد بُعث ولم يكن زيد يعلم بذلك لكنه كان يريد أن يسأل عن النبى ﷺ فإذا علم أنه بُعث فإنه كان ينوى أن يُسلم معه لله رب العالمين.

ولكنه كان على موعدٍ مع القدر فقد قتله بعض الأعراب وهو فى طريقه إلى مكة.

وفى آخر رمق من حياته رفع بصره إلى السماء، وقال: اللهم إن كنت حرمتنى من هذا الخير فلا تحرم منه ابنى سعيداً.

واستجاب الله دعوته المباركة فكان ابنه سعيد من السابقين إلى الدخول فى الإسلام فقد أسلم قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم.

* وأسلمت مع سعيد زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب وكان سعيد يُخفى إسلامه هو وزوجته خوفًا من بطش قريش وخوفًا من بطش عمر بن الخطاب الذى لما علم بخبر إسلامها ذهب إليهما فى البيت وآذى أخته وزوجها إيذاءً شديداً ثم ندم بعد ذلك على كل ما فعله... وكان ذلك من أسباب إسلامه وإن كان السبب الأساسى فى إسلام عمر رضي الله عنه هو دعوة النبى ﷺ عندما قال: «**اللهم أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبى جهل أو بعمر بن الخطاب**» وكان أحبهما إليه عمر[١].

* وفى يوم من الأيام يذهب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقالا له: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: «**نعم فإنه يُبعث أمة وحده**»[٢].

* وتمر الأيام ويهاجر سعيد بن زيد مع زوجته فاطمة إلى المدينة المنورة ويسعدا برحاب النبى ﷺ الذى تعلَّما على يديه الخير كله.

منقبة عظيمة

وفى يوم من الأيام يصعد سعيد بن زيد مع النبى ﷺ وبعض الصحابة على جبل حراء فاهتز الجبل فقال له النبى ﷺ: «**اسكن حراءُ فما عليك إلا نبى أو صدِّيق أو شهيد**»، وعليه النبى، وأبو بكر، وعمر، وعثمان،

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨١) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦٠٣٦).

(٢) رواه أحمد (١٦٤٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وعلى، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن، وسعيد بن زيد»[١].

جهاده فى سبيل الله

لقد شهد سعيد بن زيد ﷺ المشاهد كلها ما خلا بدراً، وذلك لأن النبى ﷺ كان قد أرسله فى مهمة، فلما عاد وجد النبى ﷺ عائداً من الغزوة فضرب له النبى ﷺ بسهمه، فكان كمن شهدها.

وما زال يشهد المشاهد بعد وفاة الرسول ﷺ يبحث عن الشهادة فى سبيل الله ولا يرضى عنها بديلاً.

* وظل سعيد يجاهد بعد موت النبى ﷺ... فذهب للجهاد فى بلاد فارس حتى تمكَّن المسلمون من النصر على الفرس وأُطفئت نار المجوس بفضل الله جل وعلا.

فلما انتهت الفتوحات فى بلاد فارس وإذا بسعيد بن زيد يحمل سلاحه ويذهب إلى بلاد الشام ليقاتل الروم.

بطولاته فى يوم أجنادين

لقد كان سعيد بن زيد قائد الفرسان يوم أجنادين وكان من أشد الناس وهو الذى أشار على خالد بن الوليد ببدء القتال يوم أجنادين لما رمى الروم المسلمين بالسهام... فصاح سعيد بن زيد بخالد بن الوليد قائلاً له: لماذا نجعل أنفسنا هدفًا للروم فنادى خالد على الجيش وقال لهم: احملوا باسم الله... فقاموا بهجوم فى غاية القوة والشراسة وصبروا على نبال الروم وسهامهم ففزع الروم وانهزموا هزيمة شديدة وقتلهم المسلمون كيف شاءوا واستولوا على معسكرهم وما كان يحويه.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٤٨) كتاب السنة، وأحمد (١/ ١٨٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٨٧٥).

أسدٌ فى معركة اليرموك

ولعل أروع البطولات التى سجلها سعيد بن زيد هى بطولته فى معركة اليرموك فقد كان انتصار المسلمين على الروم فى تلك المعركة يعنى سقوط بلاد الشام كاملة فى أيدى المسلمين.

لكن النصر كان قريبًا من الروم لكثرة عددهم وعُدتهم.. فقد كان عدد المسلمين أربعًا وعشرين ألفًا وعدد الروم مائة وعشرين ألفًا فأقبلوا على المسلمين كأنهم جبال تتحرك.. وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقساوسة يحملون الصُلبان ويجهرون بصلاتهم فيرددها الجيش من ورائهم فكانت أصواتهم كالرعد.

فلما رآهم المسلمون على تلك الحالة أحسُّوا بشىء من الخوف والرعب.

عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحض المسلمين على القتال، فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، عباد الله، اصبروا، فإن الصبر منجاةٌ من الكفر ومرضاةٌ للرب، والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل فى أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله... قال سعيد: عند ذلك خرج رجلٌ من صفوف المسلمين وقال لأبى عبيدة: إنى عزمت على أن أموت شهيدًا فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ؟ فقال أبو عبيدة: نعم، تُقرئه منى ومن المسلمين السلام، وتقول له: يا رسول الله، إنَّا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا. قال سعيد: فما إن سمعتُ كلامه ورأيته يأخذ سيفه ويمضى إلى لقاء أعداء الله حتى رميت بنفسى بشدة على الأرض وجثوت على رُكبتى وأمسكت برُمحى فلما أقبل الروم علينا واقتربوا قفزت فى وجوههم وأخذت أطعن برمحى كل من يقابلنى من الروم حتى قتلت منهم عددًا كبيرًا وقد انتزع الله كل ما فى قلبى من الخوف... وما زلنا نقاتل

الروم حتى كتب الله النصر للمؤمنين.

*وفرح أبو عُبيدة بن الجراح بهذا النصر فرحًا شديدًا وازداد فرحه بما فعله سعيد بن زيد فأسند إليه فتح دمشق ثم جعله واليًا عليها فظل عليها حتى عهد بنى أمية.

الله يستجيب دعاءه

وفى عهد الدولة الأموية عاش سعيد بن زيد حزينًا لفراق كثيرٍ من أصحاب النبى ﷺ الذين ماتوا قبله وازداد حزنه لكثرة الفتن التى انتشرت فى بلاد المسلمين فما كان منه إلا أن آثر العودة إلى المدينة ليقيم فيها وكان والى المدينة فى ذلك الوقت مروان بن الحكم.

وفى يوم من الأيام قامت امرأة تُسمى (أروى بنت أُويس) تدَّعى أن سعيد بن زيد قد سرق شيئًا من أرضها وضمَّها إلى أرضه.

فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد: أنا كنت آخذُ من أرضها شيئًا بعد الذى سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ قال مروان: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طُوِّقه إلى سبع أرضين» فقال له مروان: لا أسألك بيِّنة بعد هذا.

فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فعمِّ - فأعم - بصرها واقتلها فى أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينا - بينما - هى تمشى فى أرضها إذ وقعت فى حُفرةٍ فماتت»[1].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦١٠) كتاب المساقاة.

وحان وقت الرحيل

وبعد تاريخ حافل بالعطاء والتضحية والجهاد فى سبيل الله رحل سعيد ابن زيد رضي الله عنه عن دنيا الناس إلى جنة الرحمن، فهو من العشرة المبشرين بالجنة.

وتوفى بالعقيق فحُمل إلى المدينة ودُفن بها وغسَّله سعد بن أبى وقاص ونزل فى قبره سعد وابن عمر، وذلك فى سنة خمسين أو إحدى وخمسين وكان يوم أن مات ابن بضع وسبعين سنة.

* رضى الله عن سعيد بن زيد وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

أبو عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه

أبو عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابى الجليل.

إنه أول من لُقِّب بأمير الأُمراء.

إنه من السابقين إلى الاسلام فقد أسلم بعد أبى بكر بيوم واحد.

إنه الرجل الذى يجتمع نسبه مع نسب النبى ﷺ فى جده (فهر).

إنه أمين هذه الأمة الميمونة المباركة.

إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

إنه قائد الفتوحات الإسلامية فى بلاد الشام.

إنه الصحابى الجليل عامر بن عبد الله بن الجراح... وكُنيته: أبو عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

إسلامه رضي الله عنه

لما بُعث النبى ﷺ وعرض الإسلام على أبى بكر الصديق فأسلم لساعتها ولم يتردد لحظة واحدة.

ثم خرج أبو بكر داعية إلى الله جل وعلا فأسلم على يديه عدد كبيرٌ وكان على رأسهم أبو عُبيدة بن الجراح الذى أسلم بعد أبى بكر بيومٍ واحد.

وذهب أبو عُبيدة ليرى النبى ﷺ ويسعد بصحبته الغالية.

❊ ❊ ❊

صبره على الإيذاء

وكغيره من أصحاب الرسول ﷺ فقد تعرض أبو عبيدة للإيذاء والتعذيب ولكنه ظل صابرًا ثابتًا على دينه فما كان يزيده العذاب إلا ثباتًا على الحق ويقينًا فى أن النصر قادم إن شاء الله.

ثم إنه يعلم أن الجنة تحتاج إلى الصبر والبذل والتضحية.

وفوق ذلك كله فهو لا يريد إلا الفوز برضوان الله ورحمته ومغفرته وهو يعلم أنه لن يفوز برضوان الله إلا بالثبات على دينه والبذل لنُصرة هذا الدين العظيم.

الهجرة إلى الحبشة

* ولما رأى النبى ﷺ أصحابه فى هذا البلاء والعذاب الشديد أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة فهاجر بعض الصحابة ولم يهاجر معهم أبو عُبيدة فلما عاد المسلمون من الهجرة الأولى للحبشة بعد ما شاع خبر إسلام قريش وعلموا أن هذا الخبر كان كاذبًا فعزموا على الهجرة الثانية إلى الحبشة فهاجر معهم أبو عُبيدة فرارًا بدينه من بطش قريش وتعذيبهم.

وعلى الرغم من الحفاوة البالغة التى قابلهم بها النجاشى (ملك الحبشة) إلا أن أبا عبيدة، كان لا يتحمل أبدًا أن يبتعد عن حبيبه ﷺ فإن رؤية النبى ﷺ والجلوس معه والتعلم على يديه والاقتباس من هديه وأخلاقه لا يعدله أى نعيم ولا أى متاعٍ فى الدنيا بأسرها.

* ولكن قريشًا كانت تزداد يومًا بعد يومٍ فى تعذيبها لأصحاب النبى ﷺ . . . فكان أبو عبيدة يتحمل كل هذا فى سبيل البقاء فى صحبة النبى ﷺ.

ولم يَدُمْ بقاء (أبى عبيدة) بمكة طويلاً حتى أذن النبى ﷺ له

ولأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة (يثرب) لتكون هذه المدينة هى القاعدة المباركة التى تقوم على أرضها للإسلام دولة تُخرج للكون كله نماذج من الرجال والأبطال الذين تربُّوا بين يدى الحبيب ﷺ الذى ربَّاه الله جل وعلا ليربى به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان.

درس عظيم فى الولاء والبراء

لقد كان سيف أبى عبيدة معروفًا فى أرض الجزيرة ولذلك كان الناس يخافون منه... ولا يكاد أحدٌ يجرؤ على الاقتراب منه إلا إذا كان يريد أن يفقد حياته.

وكان عبد الله بن الجراح (والد أبى عبيدة) رجلاً كافرًا وكان يؤذى المسلمين كثيرًا.

فلما كان يوم غزوة بدر وقف أبو عبيدة فى صفوف المسلمين... ووقف أبوه فى صفوف المشركين.

وبدأ القتال فى يوم بدر فأقبل أبو عبيدة يقاتل بكل ضراوة وشجاعة فكان المشركون يبتعدون عن البقعة التى يقاتل فيها ولكن كان هناك فارس قد أصاب بعض الصحابة وأخذ يقترب من أبى عُبيدة... وأبو عبيدة يبتعد عنه.

فلما أكثر هذا الفارس من التصدِّى لأبى عبيدة هجم عليه أبو عُبيدة كالأسد الضارى وقتله شر قتلة.

أتدرون من هو المقتول؟

إنه والد أبى عبيدة. وأنزل الله فى شأنه وشأن أبيه قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

فيا له من موقف عظيم لأبى عبيدة يلقن فيه الدنيا كلها درسًا عظيمًا ليعلموا أن الولاء إنما يكون لله ولرسول الله ﷺ وللمؤمنين، وأن البراء لابد أن يكون من أعداء الله جل وعلا.

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٢).

دفاعه عن النبى ﷺ يوم أحد

وفى يوم أحد لما عصى الرُّماة أمر رسول الله ﷺ فانكشف المسلمون وأجهز عليهم المشركون، فأصابوا منهم من أصابوا، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه مَن أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ وأرادوا قتله والتمثيل بجثته.

وكانت أحرج ساعة بالنسبة إلى حياة رسول الله ﷺ وفرصة ذهبية بالنسبة إلى المشركين، ولم يتوانَ المشركون فى انتهاز تلك الفرصة، فقد ركزوا حملتهم على النبى ﷺ وطمعوا فى القضاء عليه.

* وجاء رجل من المشركين اسمه (ابن قمئة) وضرب النبى ﷺ ضربة بالسيف اشتكى النبى ﷺ منها أكثر من شهر. ثم ضربه على وجنته ضربة أخرى أعنف من الأولى حتى دخلت حلقتان من درع النبى ﷺ فى وجنته وقال له: خُذها وأنا ابن قمئة.

فجاء أبو بكر يريد أن ينتزع الحلقتين من وجه النبى ﷺ فقال له أبو عُبيدة: أقسمت عليك بالله أن تتركنى أنا حتى أنزع الحلقتين من وجه النبى ﷺ.

---

(١) سورة المجادلة: الآية: (٢٢).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٥٥).

وقام أبو عبيدة ينتزع الحلقتين من وجه النبى ﷺ بأسنانه حتى وقعت ثنيتاه وأصابه الهتم فأصبح منظره أجمل من الأول حتى قيل: ما رؤى هَتْمٌ قطُّ أحسن من هَتْمِ أبى عبيدة.

فانظر كيف بلغ الأدب بأبى عبيدة لا ينزع حلقتى المِغفر بيده لئلا يؤذى رسول الله ﷺ بل ينزعهما بفمه حتى سقطت ثنيتاه.

وظل أبو عبيدة ﷺ يشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ويثبت ثبات الجبال، وهو يحمل إيمانًا لا تعصف به الرياح ولا تزعزعه الأعاصير.

وكان النبى ﷺ يحبه حبًّا جمًّا، ويفتخر به كل الفخر.

عن عبد الله قال: سألتُ عائشة: أى أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إليه؟ قالت: أبو بكر، ثم عمر، ثم أبو عبيدة بن الجراح(١).

بل قال ﷺ: «نِعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح»(٢).

سرية أبى عُبيدة إلى سيف البحر

وفى يوم من الأيام أرسله النبى ﷺ أميرًا على سرية فيها ثلاثمائة رجل وأمره النبى ﷺ أن يسير إلى مكان اسمه (سيف البحر) ليعترض قافلة لقريش.. فخرج أبو عبيدة مع هؤلاء الرجال وأخذوا معهم جرابًا من التمر فكان يُطعمهم من التمر فلما نقص التمر كان أبو عبيدة يعطى الرجل منهم فى اليوم تمرة واحدة لتكون طعامًا له. وبعد فترة أصابهم جوعٌ شديد

(١) رواه الترمذى (٣٦٥٧) والحاكم (٣/ ٧٣) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى، وأخرجه البخارى (٣٦٦٢) فى فضائل الصحابة: باب قول النبى ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، و(٤٣٥٨) فى المغازى: باب غزوة ذات السلاسل، من حديث عمرو بن العاص، أن النبى ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أى الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعدَّ رجالاً.

(٢) صحيح: سنن الترمذى (٣٧٩٥)، كتاب المناقب، الصحيحة (٢/ ٩٦٢).

فأخذ أبو عُبيدة يدعو ويسأل الله أن يفرج همهم. . . فاستجاب الله دعاءه وأخرج لهم دابة من البحر اسمها العنبر وهى نوع من أنواع الحيتان فأخذوا يأكلون منها عشرين ليلة حتى سمنت أجسادهم.

فلما عادوا إلى الرسول ﷺ وأخبروه بما حدث قال لهم ﷺ: «هذا رزقٌ ساقه الله إليكم».

هذا أمين هذه الأمة

ولما جاء وفد نجران إلى الحبيب ﷺ كانت هناك منقبة عظيمة لأبى عبيدة رضي الله عنه فإنه لما نزل الوفد بالمدينة، ولقى النبى ﷺ سألهم وسألوه، ثم دعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا ثم اجتمع رأيهم على تحكيم رسول الله ﷺ فى أمرهم، فجاءوا وقالوا: إنَّا نعطيك ما سألتنا فقبِل رسول الله ﷺ منهم الجزية، وصالحهم على ألفى حُلة، ألف فى رجب، وألف فى صَفَر، ومع كل حلة أوقية، وأعطاهم ذمة الله وذمة رسوله، وترك لهم الحرية الكاملة فى دينهم، وكتب لهم بذلك كتابًا، وطلبوا منه أن يبعث عليهم رجلاً أمينًا فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أمينًا حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «قُم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة»[1].

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٨٠) كتاب المغازى، ومسلم (٢٤٢٠) كتاب فضائل الصحابة.

صور مشرقة من جهاده فى سبيل الله تعالى

وظل أبو عبيدة ملازمًا للعبادة والطاعة والدعوة إلى الله تعالى بل وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ حتى توفى رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ.

وكما عاش أبو عبيدة مع الرسول ﷺ أمينًا، عاش بعد وفاة الرسول ﷺ أمينًا.

* ولو لم يكن له إلا موقفه فى سقيفة بنى ساعدة لكفاه... وذلك عندما اختلف المهاجرون والأنصار فيمن يتولى الخلافة بعد موت رسول الله ﷺ فما كان من أبى عُبيدة إلا أن كان سببًا فى جمع شمل المسلمين على أبى بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

* ولقد سار أبو عبيدة تحت راية الإسلام... فكان يخدم دينه وهو جندى كما كان يخدمه وهو أمير على الجيش.

* ولقد ولاَّه أبو بكر القيادة العامة فى أرض الشام فطلب منه أبو عُبيدة أن يعفيه من ذلك ولكن أبا بكر أصرَّ على رأيه، فلما تحرج موقف المسلمين فى أرض الشام واجتمعوا باليرموك، ولَّى أبو بكر خالدًا منصب القيادة العامة فى الشام بدلاً من أبى عبيدة الذى بقى على جند (حِمْص) ولكن عمر بن الخطاب أعاده إلى منصب القيادة العامة بعد وفاة أبى بكر، وكان يقول عنه: «لا أمير على أبى عبيدة».

وكتم أبو عبيدة الخبر عن خالد حتى انتهت المعركة وعلم خالد بأن أمير المؤمنين عمر قد عزله فدخل (خالد) على (أبى عبيدة) وقال له: يغفر الله لك، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تُعلمنى، وأنت تصلى خلفى، والسلطان سلطانك؟ فقال أبو عبيدة: وأنت يغفر الله لك، ما كنت لأُعلمك

ذلك حتى تعلمه من عند غيرى، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضى ذلك كله، ثم قد كنت أُعلمك إن شاء الله، وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوانٌ بأمر الله عز وجل.

* وهكذا أصبح أبو عُبيدة أميراً على جيوش المسلمين فى فتوحات الشام ولئن كانت شهرة خالد بن الوليد الحربية سبقته إلى أهل الردة وإلى العراق وإلى الشام فتحدث عنها العدو والصديق، فإن شهرة أبى عبيدة فى الحلم والرفق، وسعة الصدر، والأمانة والصدق، وحُب السلام، قد سبقته كذلك إلى أهل الشام؛ لذلك أحبوه ويسروا له مهمته، وكان من أثر ذلك أن كَثُر تسليم مدن الشام له صلحًا، وبذلك حُقنت كثيرٌ من الدماء، واطمأنت كثيرٌ من النفوس.

* وهكذا استطاع أبو عُبيدة القضاء على وجود الروم فى الشام واستطاع بفضل الله أن يرد بيت المقدس إلى المسلمين مرة أخرى.

* ولقد ولاَّه عمر بن الخطاب أميراً على بلاد الشام فكان واليًا عليها.

عمر يختبر أبا عبيدة رضي الله عنه

وها هو أبو عبيدة رضي الله عنه لا تستطيع الدنيا أن تصل إلى قلبه بحالٍ من الأحوال... فهو إن كان يعيش على الدنيا بجسده إلا أن روحه تسرح فى جنة الرحمن فهو لا يريد سواها.

يرسل إليه عمر بن الخطاب بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار، وقال لرسوله: انظر ما يصنع، فقسمها أبو عبيدة، فلما أخبر عمرَ رسولُه بما صنع أبو عبيدة بالمال، قال: الحمد لله الذى جعل فى الإسلام من يصنع هذا![1].

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٤١٣).

ولما قَدِم عمر الشام، تلقَّاه أمراء الأجناد وعظماءُ أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ فقالوا: مَن؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلَّم عليه، فقال عمر للناس: انصرفوا عنا!.

ثم قال لأبي عُبيدة: اذهب بنا إلى منزلك يا أبا عبيدة فقال له: وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك عليَّ!.

ودخل عمر فلم يرَ في البيت شيئًا فقال: أين متاعُك؟ أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى سلة فأخذ منها كُسيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قلتُ لك: إنك ستعصرُ عينيك عليَّ يا أمير المؤمنين! يكفيك من الزاد ما بلَّغك المحل!! فقال عمر: غيَّرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة.

إيثار يفوق الخيال

روى مالك الدار قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صُرة، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة ثم تلهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع.

قال: فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك قال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية: اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان... حتى أنفذها.

فرجع الغلام إلى عمر وأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتلهَّ في البيت ساعة، حتى تنظر ما يصنع.

فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: رحمه الله ووصله: تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، واذهبي إلى بيت فلان بكذا.

فاطلعت امرأة معاذ فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا، ولم يتبقَّ فى الخرقة إلا ديناران فرمى بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك، فَسُرَّ بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

وحان وقت الرحيل

عاش أبو عُبيدة فى بلاد الشام منذ أن فتحها وإلى آخر لحظة فى حياته.

* وفى تلك الفترة الأخيرة نزل بالمسلمين فى أرض الشام الطاعون الذى كان يُسمَّى بطاعون عمواس فحصد أرواح عددٍ كبير من المسلمين فخاف عمر بن الخطاب على المسلمين وازداد خوفه على أبى عُبيدة فأرسل إليه من أجل أن يعود إلى المدينة فى أسرع وقت ففهم أبو عبيدة ما فى الرسالة وقال لأصحابه: إن أمير المؤمنين يريد أن يستبقى ما ليس بباقٍ... أى: أنه يريد أن أنجو من الطاعون وأظل حيًّا وهو يعلم أننا سنموت جميعًا إما بالطاعون أو بغيره.

واعتذر أبو عبيدة عن عدم الذهاب إلى أمير المؤمنين عمر وقال له: إنى فى جُند من أجناد المسلمين ولا أرغب بنفسى عنهم فلما وصلت الرسالة لعمر بكى بكاءًا شديدًا.

* وبعد فترة توفى أبو عبيدة وانكشف الطاعون.

وذات يوم تصل رسالة إلى أمير المؤمنين عمر تخبره بموت أبى عُبيدة فيبكى عمر ويدعو لأبى عُبيدة بالرحمة والمغفرة.

* وهكذا توفى أبو عبيدة بعد حياة طويلة مليئة بالزهد والورع والبذل والتضحية والجهاد فى سبيل الله جل وعلا.

❊ ❊ ❊

أمنية عمرية

وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمنى تلك الأمنية الغالية وقد امتلأ قلبه حزنًا على فراق إخوانه وأحبابه، فقال يومًا لمن حوله: تمنُّوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا فأنفقه في سبيل الله ثم قال: تمنُّوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا أو زبرجدًا أو جوهرًا، فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندرى يا أمير المؤمنين، قال عمر: أتمنى، لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح[1].

* ولما حضرت عمر الوفاة قال: لو كان أبو عبيدة حيًّا لأستخلفته فإذا سألنى الله عز وجل: لِمَ استخلفته؟ قلت: استخلفت عليهم أمين هذه الأمة.

* رضى الله عن أبى عبيدة بن الجراح وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٦) وصححه ووافقه الذهبى.

عمار بن یاسر رضی اللہ عنہما

عمار بن ياسر رضي الله عنه

* وها نحن نتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع قصة الصبر على البلاء.

إنها قصة صحابى جليل صبر على إيذاء المشركين، وكان راضيًا بقضاء رب العالمين، فبشَّره سيد المرسلين ﷺ بأن الجنة قد اشتاقت إليه.

* فتعالوا بنا لنبدأ قصته من أولها فهى قصة تتكرر فى كل زمان ومكان إنها قصة الصراع بين الحق والباطل.

* إننا على موعدٍ مع الصحابى الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه.

موعد مع السعادة

وتبدأ قصته عندما جاء والده (ياسر) من بلاد اليمن إلى مكة المكرمة مع أخويه (الحارث ومالك) ليبحثوا عن أخٍ لهم فقدوه منذ سنوات... ومنذ هذا الوقت وهم يطوفون فى البُلدان بحثًا عنه فانتهى بهم المطاف فى أرض مكة.

وظلوا يبحثون عنه فى أنحاء مكة فلم يجدوه فعاد الحارث ومالك، وأما ياسر فلم يرجع لأنه أحسَّ براحة وسعادة عجيبة جعلته يفضل البقاء فى أرض مكة.

ولم يكن يعلم أنه على موعد مع السعادة الحقيقية، وأنه سيدخل التاريخ من أوسع وأشرف أبوابه.

وكان من عادة العرب أنه إذا دخل رجلٌ غريب إلى أى بلدة واستقر بها فلا بد أن يحالف سيدًا من سادات القوم ليمنعه من أذى الناس وليستطيع أن يعيش حياة هادئة مطمئنة فى ذلك المكان.

فحالف ياسر أبا حذيفة بن المغيرة المخزومى فأحبَّه الرجل من أعماق قلبه لما رأى منه من نبيل الخصال وكريم الفعال ونفاسة معدنه، وأراد أن يتقرب منه أكثر من ذلك فزوَّجه من أمة له تُدْعَى سمية بنت خِباط فأنجبت له غلامًا مباركًا ألا وهو عمار بن ياسر.

واكتملت الفرحة يوم أن أعتقه أبو حذيفة وحرره من العبودية، ثم مات أبو حذيفة.

شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة

وبعد قرون طويلة عاشتها البشرية فى ظلمات الشرك والجاهلية وإذا بشمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة لتُخرج الناس من ظُلمات الجاهلية إلى أنوار التوحيد والإيمان ولتنقلهم من البؤس والشقاء إلى سعادة الدنيا والآخرة... إلى جنة الدنيا التى تُثمر لهم بعد ذلك جنةَ الآخرة.

إنهم على موعد مع حياة جديدة بل إن صَحَّ القول - مع مولدٍ جديد - وفى تلك الساعات يسمع عمار رضي الله عنه عن تلك الرسالة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام فانفتح قلبه لنداء الإيمان، وذهب إلى دار الأرقم وأقدامه تسابق الريح وكأنه يسابق الزمن. فما إن وصل ورأى النبى ﷺ وسمع منه حتى كاد أن يطير قلبه من شدة الفرح.

نعم إن هذا الدين هو طوق النجاة للبشرية كلها، فما كان منه إلا أن بسط يده للحبيب ﷺ وقال بقلبه ولسانه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ.

❊ ❊ ❊

من أعظم البر بالوالدين

ولما لامس الإيمان شغاف قلب (عمـار) ﷺ عاد إلى أبويه يحمل لهما النور والخير والإيمان. . . لقد عاد إليهما ومعه جنة الدنيا.

فما إن عرض عليـهما الإسلام حتى استجابا فـى التو واللحظة ما تلعثم واحد منهما ولا تلكأ.

وهذا والله هو أعظم البـر بالوالدين أن يكون الولد سببًا فى دخولهـما الجنة ونجاتهما من النار.

وانطلقت الأسرة الكريمة المباركة فى رحلتها إلى جنة الرحمن. . . وعلى الرغم من أن الطريق صـعب وشاق وطويل، لكن عاقـبته مـحمودة وغـالية ويكفى أن يضع المؤمن قدميه على أول الطريق ويستعين بالملك جل وعلا.

صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة

وما هى إلا ساعات معدودات حتى طار خـبر إسلامهم إلى بنى مخزوم فاستشاطوا غضبًا، وصبُّوا على آل ياسرٍ أشد العذاب.

فكانوا إذا حميت الـظهيرة يأخذونهم إلى بطحاء مكـة ويُلبسونهم دروع الحديد، ويمنعون عنهم الماء ويصهرونهم فى الشمس المحرقة ويصبُّون عليهم من جحيم العذاب ألوانًا؛ حتى إذا بلغ منهم الجهـدُ مبلغًا أعادوا معهم الكَرَّة فى اليوم الذى يليه.

وكان هذا شأن كل من أظهر إسلامه بمكة، ولكن درجات العذاب كانت تتفاوت فيما بينهم.

وبينما هم على تلك الحالة من العـذاب والتنكيل وإذا بالحبيب المصطفى ﷺ يمر عليهم ويقول لهم: «**أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة**»[1].

---

(١) صحيح: أخرجـه ابن سعد فى الطبـقات (٣/ ١٨٨)، وانظر صحـيح السيرة النبـوية للشيخ الألبانى رحمه الله (ص١٥٤).

وهنا بدأت نفوسهم تشعر بالراحة والطمأنينة. . . وبدلاً من المعاناة التى كانوا يجدونها من أثر التعذيب أصبحوا يستعذبون العذاب فى سبيل الله ويحلمون بالجنة ليلاً ونهاراً.

أول شهيدة فى الإسلام

وبدأت المحنة تتحول إلى منحة ربانية بعد أن بشرهم النبى ﷺ بالجنة، وهنا تقوم (أم عمار) سمية رضي الله عنها لتكتب بدمها سطوراً من النور على جبين التاريخ لتكون أول شهيدة فى الإسلام، وذلك عندما تعرض لها الهالك أبو جهل عليه من الله ما يستحقه فطعنها فى موطن عفتها فقتلها.

واستُشهد ياسر (والد عمار) رضي الله عنه تحت وطأة التعذيب.

فإن عادوا فعُد

فلما لم يبقَ سوى عمار رضي الله عنه اشتد الكفار عليه وأذاقوه من العذاب ألوانًا.

عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عماراً، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبى ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شرٌّ يا رسول الله. والله ما تُركتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: «فكيف تجدُ قلبك»؟ قال: مطمئنٌ بالإيمان. قال: «فإن عادوا فَعُدْ»[1].

الهجرة المباركة

وكتب الله النجاة لعمار رضي الله عنه ولأمثاله من المستضعفين عندما أذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة.

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٧) وصححه ووافقه الذهبى.

وهاجر عمار رضي الله عنه فراراً بدينه. فلما وصل إلى قباء دعاهم لبناء مسجد ليقيموا فيه الصلاة فاستجابوا له وتم بناء المسجد.

وعاش عمار رضي الله عنه مع إخوانه من الأنصار رضي الله عنهم فنسى كل العذاب الذى نزل بجسده وأحسَّ وكأنه بين أبويه لم يفقد واحداً منهما من كثرة ما يجد من رحمة الأنصار ورقة قلوبهم.

ولما هاجر الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تمت فرحة عمار رضي الله عنه بقدومه.. فكان ملازمًا للنبى صلى الله عليه وسلم لا يفارقه أبداً.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحبه من أعماق قلبه ويقربه إليه دائمًا.

مناقبه وفضائله رضي الله عنه

وها هى جملة من مناقبه وفضائله رضي الله عنه.

عن على قال: استأذن عمار على النبى صلى الله عليه وسلم فقال: «من هذا؟» قال: عمار، قال: «مَرْحبًا بالطيب المُطيَّب»(١).

وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن الجنة لتشاق إلى ثلاثة: علىّ وعمار وسلمان»(٢).

وعن خالد بن الوليد قال: كان بينى وبين عمار كلام فأغلظتُ له، فشكانى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مَنْ عادى عمارًا عاداه الله، ومَنْ أبغضَ عمارًا أبغضهُ الله» فخرجت، فما شيء أحبَّ إلىَّ من رضى عمار، فلقيته فرضى(٣).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٩٨) كتاب المناقب، وابن ماجه (١٤٦) فى المقدمة، وأحمد (١/ ١٢٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٩٧) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٨٩)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٧٣)، وابن حبان (١٥/ ٥٥٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٨٦).

وقال ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدى من أصحابى أبى بكر وعمر واهتدوا بهَدى عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما خُيِّر عمار بين أمرين إلا اختار أرشدَهما»[٢].

وعن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عمار مُلئ إيمانًا إلى مُشاشه»[٣].

صفحات مشرقة من جهاده فى سبيل الله

ولقد شهد عمار رضي الله عنه مع النبى ﷺ غزوة بدر وكان المسلم الوحيد الذى خاض تلك المعركة وأبواه مؤمنان شهيدان.

وشهد مع النبى ﷺ بعد ذلك كل الغزوات ولم يتخلف عن غزوة واحدة فقد كان يتمنى أن يرزقه الله الشهادة فى سبيله.

ولما توفى رسول الله ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى ارتدت أكثر قبائل العرب عن الإسلام فكان لعمار رضي الله عنه موقفًا عظيمًا فى يوم اليمامة.

قال ابن عمر: رأيت عمارًا يوم اليمامة على صخرة، وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر، هَلُمُّوا إلىَّ. وأنا أنظر إلى أذنه قد قُطعت فهى تذبذب وهو يقاتل أشد القتال[٤].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٦٢) كتاب المناقب، وأحمد (٥/ ٣٨٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٢٣٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٩٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٨٣٥).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (١٤٧) فى المقدمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٨٠٧).

(٤) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨١).

ولايته على الكوفة

وتدبروا معى هذه الصفحة الناصعة من حياته رضي الله عنه.

فلقد اختاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليصبح واليًا على الكوفة فكان مثالاً عاليًا فى العدل والرحمة والتواضع والإنصاف.

وكان عمر رضي الله عنه كعادته يسأل الناس عن الولاة خشية أن يحيدوا عن العدل ويجور أحدهم فى حكمه.

فسأل عمر أهل الكوفة عن عمار فأثنوا عليه، وقالوا: والله ما أنت أمَّرته علينا، ولكن الله أمَّره، فقال عمر: اتقوا الله وقولوا كما يُقال، فوالله لأنا أمَّرته عليكم، فإن كان صوابًا، فمن قِبَل الله، وإن كان خطأً إنه من قِبلى.

موقفه يوم صِفِّين (وساعة الرحيل)

ولما وقعت الفتنة بين (على) و(معاوية) رضي الله عنهما كان عمار رضي الله عنه فى صف علىّ رضي الله عنه.

وكان قد بلغ من العمر يومئذ ثلاثًا وتسعين سنة. وكان عمار بن ياسر قليل الكلام، طويلَ السكوت، وكان عامةُ قوله: عائذٌ بالرحمن من فتنة، عائذ بالرحمن من فتنة، فعرضت له فتنة عظيمة[1].

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال - وهو يسير إلى صِفِّين إلى جنب الفرات-: اللهم لو أعلم أنه أرضَى لك عنى أن أرمى بنفسى من هذا الجبل فأتردى فأسقط لفعلت، ولو أعلم أنه أرضَى لك عنى أن ألقى نفسى فى الماء فأُغرق نفسى فعلت، وإنى لا أقاتل إلا أريد وجهك وأنا أرجو أن لا تخيبنى وأنا أريد وجهك.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨٣)، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٤٥).

* وعن أبي البختري قال: قال عمار رضي الله عنه يوم صِفِّين: ائتوني بشربة لبن، قال: فشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربةُ لبن» ثم تقدَّم فقُتل[1].

وقُتل عمار رضي الله عنه ونزفت دماؤه الشريفة التي لطالما امتزجت بحب الله وحُب رسوله ﷺ، ولطالما احترقت شوقًا لنُصرة دين الله جل وعلا.

قتله رجل اسمه أبو الغادية ويقال: قتله رجل آخر فالله أعلم.

وحمله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوق صدره إلى حيث صلى عليه والمسلمون معه ثم دفنه في ثيابه.

أجل.. في ثيابه المضمخة بدمه الزكي الطهور فما في كل حرير الدنيا وديباجها ما يصلُح أن يكون كفنًا لشهيدٍ جليل من طراز عمار.

ووقف المسلمون على قبره يعجبون!! منذ ساعات كان عمار يُغرِّدُ بينهم فوق أرض المعركة تملؤ نفسه غبطة الغريب يُزَفُّ إلى وطنه، وهو يصيح: (اليوم ألقى الأحبة، محمدًا وصحبه)[2].

وكيف لا يلقاهم وقد: «اشتاقت الجنة إلى عمار».

فهنيئًا لك أيها الصحابي الجليل وهنيئًا لمن اكتحلت عيناه برؤيتك ورؤية أصحاب الحبيب ﷺ وهنيئًا ثم هنيئًا لمن اكتحلت عيناه وانشرح صدره برؤية الحبيب ﷺ.

فرضي الله عن عمار وعن سائر الصحابة أجمعين وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/٣٠٢)، وأحمد (٤/٣١٩)، وكذا ابن سعد (٣/٢٥٧). وأبو يعلى (٣/١٨٨/١٦١٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٦٥٨)، والحاكم (٣/ ٣٨٩) وقال: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة تحت حديث (٣٢١٧).

(٢) رجال حول الرسول ﷺ (ص٢٧٩).

أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه

أبو أيوب الأنصارى ﷺ

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابى الجليل الذى فاز بأعظم منقبة فى هذه الدنيا يوم أن استضاف رسول الله فى بيته سبعة أشهر إلى أن بنى النبى ﷺ مسجده وبيوت أزواجه.

إنه الصحابى الذى شهد بيعة العقبة الثانية وكان من أهل بدر الذين قال عنهم النبى ﷺ: «**لعل الله اطَّلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(١).

إنه الصحابى الذى شهد الغزوات كلها وشهد الفتوح الإسلامية واستخلفه على ابن أبى طالب ﷺ على المدينة لما خرج إلى العراق ثم لحق به بعد ذلك وشهد معه قتال الخوارج.

إنه الصحابى الذى دُفن تحت أسوار القسطنطينية.

إنه أبو أيوب الأنصارى ﷺ.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

من هنا نبدأ

كان أبو أيوب الأنصارى من أهل يثرب (المدينة المنورة) من بنى النجار وهم أخوال النبى ﷺ.

وكان يعيش مع زوجته المخلصة أم أيوب أسعد حياة. وفى يوم من الأيام سمع أبو أيوب ببعثة النبى ﷺ، . . . وتمر الأيام ويرسل النبى ﷺ مصعب بن عُمير كأول سفير للدعوة فى المدينة المنورة. . . وكان ذلك بعد بيعة العقبة الأولى.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧ - ٣٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

فكان مصعب يدعو الناس بكل رحمة وحنان فأسلم عدد كبير من أهل المدينة وكان على رأسهم أبو أيوب وأم أيوب ﷺ ولم يستطع أبو أيوب أن ينتظر حتى يهاجر النبى ﷺ إلى المدينة فذهب فى العام التالى ليرى النبى ﷺ وليبايعه بيعة العقبة الثانية... وعاد بعدها إلى المدينة وهو فى قمة السعادة لأنه رأى النبى ﷺ.

وظل أبو أيوب ينتظر قُدوم النبى ﷺ إلى المدينة حتى أثلج الله صدره وصدور أهل المدينة بقدوم النبى ﷺ إلى المدينة.

فرح أهل المدينة بمقدم رسول الله ﷺ

لما وصل النبى ﷺ المدينة وكان يركب ناقته (القصواء).

فكان كلما مرَّ على بيت من بيوت الأنصار أمسكوا بزمام ناقته وقالوا: هَلُمَّ يا رسول الله إلى العدد والعُدة والمنعة والقوة.

فيقول لهم: دعوها فإنها مأمورة... أى أنها تسير بأمر الله ولن تقف إلا فى المكان الذى أراده الله (جل وعلا).

وفى هذه اللحظة صعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون: يا محمد يا رسول الله.. يا محمد يا رسول الله.

وكان النبى ﷺ يبادلهم نفس المحبة.

حتى إنه جعل ينظر إلى ولائد بنى النجار من حوله وهن ينشدن ويتغنين بمقدمه قائلاً: «أتحبيننى؟ والله إن قلبى ليحبكن».

* وقام الأحباش يلعبون بالحراب فرحًا لقدوم رسول الله ﷺ.

❊ ❊ ❊

نزول النبى ﷺ فى دار أبى أيوب الأنصارى

والأنصار وإن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة، إلا أن كل واحد منهم كان يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ عليه، فكان لا يمر بدارٍ من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته: هَلُمّ إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: «خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة»، فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوى اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت فبركت فى موضعها الأول، فنزل عنها وذلك فى ديار بنى النجار أخواله ﷺ.

وكان من توفيق الله لها، فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ فى النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصارى إلى رَحله، فأدخله بيته، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رَحله»، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته، وكانت عنده [١].

وهكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ

ولنترك المجال لأبى أيوب رضي الله عنه يحدثنا عن تلك الفرحة الشديدة التى ملأت عليه جوانحه وجوارحه لنزول النبى ﷺ عليه فى بيته.

* يخبر أبو أيوب أن النبى ﷺ لما نزل عنده فى بيته نزل فى الدور السفلى فطلب منه أبو أيوب أن يكون فى الدور العُلوى فرفض النبى ﷺ وأخبره أن هذا أيسر له من أجل أن يستقبل الناس ويدعوهم إلى الله دون أن يجرح بيت أبى أيوب.. فوافق أبو أيوب وهو حزين لذلك... فكان يأمر زوجته أن تنام بجوار الحائط حتى لا يكونا فوق النبى ﷺ.

---

(١) السيرة لابن هشام (٢/ ٣٤٣).

وفي يوم من الأيام كُسر إناء فيه ماء لأبي أيوب فخشي أبو أيوب أن يسقط الماء على رسول الله ﷺ فأخذ قطيفة كانت عند أم أيوب فشقَّها نصفين وأخذ هو وزوجته يمسحون الماء بالقطيفة.

ثم نزل أبو أيوب وقال لرسول الله ﷺ: لا ينبغي أن نكون فوقك أبدًا يا رسول الله.. فوافق النبي ﷺ وصعد إلى الدور العلوي.

* وظل النبي ﷺ لمدة سبعة أشهر في ضيافة أبي أيوب حتى بنى حُجَره ومسجده... وازدادت دار أبي أيوب بركة بنزول جبريل (عليه السلام) بالوحي على رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب.

* وكان أبو أيوب يرسل الطعام للنبي فإذا أكل النبي ﷺ أكل أبو أيوب وزوجته من إناء النبي ﷺ إلتماسًا لبركة النبي ﷺ.

إكرامه ومحبته للحبيب ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج أبو بكر رضي الله عنه في شدة الحر إلى المسجد فرآهُ عمر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟!.

قال: ما أخرجني إلا ما أجدُ من شدة الجوع.

فقال عمر: وأنا والله ما أخرجني غيرُ ذلك.

فبينما هما كذلك؛ إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «**ما أخرجكما هذه الساعة؟!**».

قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده في بطوننا من شدة الجوع.

قال عليه السلام: «**وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غير ذلك... قوما معي**».

فانطلقوا فأتوا باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وكان أبو أيوب يدَّخر لرسول الله ﷺ كل يوم طعامًا، فإذا أبطأ عنه ولم يأتِ إليه في حينه أطعمه لأهله.

فلما بلغوا الباب خرجت إليهم أمُّ أيوب، وقالت: مرحبًا بنبى الله وبمن معه.

فقال لها النبى عليه الصلاة والسلام: «أين أبو أيوب؟».

فسمع أبو أيوب صوت النبى ﷺ وكان يعملُ فى نخلٍ قريب له فأقبل يسرع وهو يقول: مرحبًا برسول الله وبمن معه، ثم أتبع قائلاً: يا نبى الله ليس هذا بالوقت الذى كنت تجيءُ فيه.

فقال عليه الصلاة والسلام: «صدقت»، ثم انطلق أبو أيوب إلى نخيله فقطع منه غصنًا فيه تمرٌ ورُطَبٌ.

فسأله النبى ﷺ عن سبب قطع الغصن كله وقد كان يكفيه أن يجنى التمر من الغصن ولا يقطع الغصن كله.

فقال أبو أيوب: يا رسول الله أحببت أن تأكل من تمره ورُطَبه ولأذبحن لك الآن أيضًا.

فقال له ﷺ: «إن ذبحت فإياك والحَلوب» أى: لا تذبح شاة تحلبون لبنها.

فأخذ أبو أيوب (جَدْيًا) فذبحه ثم قال لامرأته: اعجنى وأخبزى لنا ثم أخذ نصف الجدى فطبخه وأخذ النصف الآخر فشواه.

فلما نضج الطعام ووُضع بين يدى النبى ﷺ وصاحبيه، أخذ الرسول قطعة من الجدى ووضعها فى رغيف، وقال: «يا أبا أيوب، بادر بهذه القطعة إلى فاطمة، فإنها لم تُصب مثل هذا منذ أيام».

فلما أكلوا وشبعوا قال النبى ﷺ: «خُبزٌ، ولحمٌ، وتمرٌ، ورُطبٌ!!!».

ودمعت عيناه ثم قال: «والذى نفسى بيده إن هذا هو النعيم الذى تُسألون عنه يوم القيامة».

ثم نهض الرسول صلوات الله عليه، وقال لأبى أيوب: «ائتنا غدًا».

وكان عليه الصلاة والسلام لا يصنع له أحدٌ معروفًا إلا أحب أن يُجازيه عليه؛ . . . لكن أبا أيوب لم يسمع ذلك.

فقال له عمر رضوان الله عليه: إن النبى ﷺ يأمرك أن تأتيه غدًا يا أبا أيوب.

فقال أبو أيوب: سمعًا وطاعة لرسول الله.

فلما كان الغدُ ذهب أبو أيوب إلى النبى ﷺ فأعطاه جارية صغيرة كانت تخدمه، وقال له: «استوصِ بها خيرًا - يا أبا أيوب - فإنا لم نرَ منها إلا خيرًا ما دامت عندنا».

عاد أبو أيوب إلى بيته ومعه الوليدةُ، فلما رأتها أم أيوب قالت: لِمَنْ هذه يا أبا أيوب؟!.

قال: لنا... منحنا إياها رسول الله ﷺ.

فقالت: أعظِم به من مانح، وأكرِم بها من منحة.

فقال: وقد أوصانا بها خيرًا.

فقالت: وكيف نصنع بها حتى ننفذ وصية رسول الله ﷺ؟

فقال: والله لا أجد لوصية رسول الله بها خيرًا من أن أُعتقها.

فقالت: هُديت إلى الصواب فأنت موفَّق... ثم أعتقها[1].

فى رحاب النبى ﷺ

وظل أبو أيوب ملازمًا للنبى ﷺ وكان النبى ﷺ يحبه حبًا جمًا ويعرف قدره ومكانته وكان دائمًا يوصى أصحابه بأبى أيوب خيرًا.

وكان أبو أيوب قد شهد مع النبى ﷺ كل المشاهد والغزوات وظل يقاتل مع النبى ﷺ وأصحابه من بعده حتى آخر لحظة فى حياته.

❊ ❊ ❊

(١) صور من حياة الصحابة (ص: ٧٢ - ٧٣) بتصرف.

موقفه الجليل فى حادثة الإفك

ولما قام رأس المنافقين عبد الله بن أُبى ابن سلول باتهام أُمنا عائشة بأنها قد فعلت الفاحشة مع الصحابى الجليل صفوان بن المُعطَّل فى حادثة الإفك كان لأبى أيوب موقف جليل فى تلك الحادثة. . . فقد جلس يومًا مع زوجته أم أيوب وقال لها: يا أم أيوب لو كُنتِ مكان عائشة أكُنت تفعلين ما يقوله الناس فيها؟

قالت أم أيوب: لا والله ما كنت لأفعله.

فقال أبو أيوب: فوالله لعائشة خيرٌ منك يا أم أيوب.

ثم قالت أم أيوب: وأنت يا أبا أيوب لو كنت مكان صفوان بن المُعطَّل أكنت تفعل ما يقوله الناس فيه؟

قال أبو أيوب: لا والله ما كنت لأفعل ذلك أبدًا.

فقالت أم أيوب: فوالله. لصفوان خيرٌ منك يا أبا أيوب.

فنزل قول الله جل وعلا: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾(١).

إكرام الصحابة له

وظل أبو أيوب فى صُحبة النبى ﷺ حتى آخر لحظة من عمره وتوفى رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنه.

وظل أصحاب النبى ﷺ يعرفون لأبى أيوب قدره ومكانته ومنزلته العالية.

وفى يوم من الأيام ذهب أبو أيوب الأنصارى إلى البصرة وكان ابن عباس رضي الله عنهما أميرًا عليها من قِبل على بن أبى طالب رضي الله عنه، فلما رآه ابن

(١) سورة النور: الآية: (١٢).

عباس أحسن استقباله وقال له: لأصنعن معك كما صنعت برسول الله ﷺ فبالغ فى إكرامه وضيافته فلما أراد أن ينصرف قال له ابن عباس: كم عليك من المال؟

قال أبو أيوب: عشرون ألفًا.

فأعطاه ابن عباس أربعين ألفًا وعشرين مملوكًا ومتاع البيت.

رحلته المباركة فى طلب حديث واحد

قال عطاء بن أبى رباح: «خرج أبو أيوب إلى عُقبة بن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ فلما قَدِم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصارى؛ وهو أمير مصر فأُخبر به فعجَّل فخرج إليه، فعانقه وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحدٌ سمعه غيرى وغير عقبة، فابعث مَنْ يدلنى على منزله قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأُخبر عقبة به، فعجَّل، فخرج إليه، فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحدٌ سمعه غيرى وغيرك فى ستر المؤمن، قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمنًا فى الدنيا ستره الله يوم القيامة» فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته، فركبها راجعًا إلى المدينة[1].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤ / ٦٢ و ٥ / ٣٧٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٣٤١).

وحان وقت الرحيل

شهد أبو أيوب المشاهد كلها فلم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون، وكانت آخر غزواته حين جهَّز معاوية جيشًا بقيادة ابنه يزيد لفتح القسطنطينية وكان أبو أيوب آنذاك شيخًا طاعنًا فى السن يحبو نحو الثمانين من عمره، فلم يمنعه ذلك من لقاء العدو، لكنه لم يمض غير قليل على منازلة العدو، حتى مرض أبو أيوب مرضًا أقعده، فأتاه يزيد يعوده، فقال: حاجتك؟ قال: نعم، إذا أنا مِتُّ فاركب بى، ثم ادخل بى فى أرض العدو ما وجدت مساغًا فإذا لم تجد مساغًا فادفنِّى ثم ارجع.

ولقد أنجز يزيد وصية أبى أيوب، وفى قلب القسطنطينية وهى اليوم استانبول ثوى جثمان رجل عظيم، جد عظيم!! هو أبو أيوب الأنصارى.

أراد أن يكون مثواه الأخير حيث يزحف جيش الإسلام، وتخفق الأعلام، وتصهل الخيول، هناك حيث صلصلة السيوف.

وعند ابن سعد: عن أبى ظبيان، قال: أغزى أبو أيوب فمرض، فقال: إذا مِتُّ فاحملونى، فإذا صافقتم العدو، فارمونى تحت أقدامكم، أما إنى سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»[1].

يا له من شوقٍ عارم إلى الجهاد، لا يحدُّه حَدٌّ! فرضى الله عن السيد الشيخ المجاهد، المدفون تحت أسوار القسطنطينية.

رضى الله عن أبى أيوب الأنصارى وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

(١) قال الأرنؤوط: إسناده قوى: أخرجه ابن سعد (٣/ ٤٨٤- ٤٨٥).

مصعب بن عُمير رضي الله عنه

مصعب بن عُمير رضي الله عنه

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابى الجليل الذى ضحى بكل شىء من أجل أن يظفر بنعمة الإسلام.

لقد ترك المال والراحة والرفاهية وعاش زاهداً متقشفًا وهو فى قمة السعادة لأنه صار مسلمًا وموحداً.

إنه أول سفير للدعوة إلى الله فى المدينة المنورة.

إنه الداعية الشهيد الذى حزن عليه النبى ﷺ حُزنًا شديداً.

إنه الصحابى الجليل مصعب بن عُمير رضي الله عنه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

قصة إسلامه رضي الله عنه

لقد كان مصعب قبل الإسلام هو أنعم فتيان مكة، فلم يكن هناك مَن يلبس مثل ثيابه ولا يضع مثل عطره حتى إنه كان إذا مَرَّ من طريق وجاء بعده أُناس قالوا: لقد مر مصعب بن عمير من هذا الطريق مما يجدون من عطره الجميل.

* لقد كان لا يشغله شىء سوى زخارف الدنيا وزينتها ولكن فجأة سمع مصعب بمبعث نبى آخر الزمان.

نعم إنه يعرفه ويعرف أخلاقه وإن لم يكن قد جلس معه قبل ذلك لكنه يعرف أن محمداً ﷺ هو الصادق الأمين والكل يشهد بذلك.

فما كان من مصعب إلا أن كسر كل الحواجز وطرح كل العقبات وذهب

ليسأل عن النبى ﷺ فاخبروه أنه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم فما كان منه إلا أن ذهب وأقدامه تسابق الريح حتى وصل إلى دار الأرقم. وهناك رأى النبى ﷺ وصافحه وجلس يستمع إليه وما هى إلا لحظات حتى وجد مصعب قلبه ولسانه يشهدان أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ليعلن للعالم كله أن الفتى المدلل مصعب قد أُسدل عليه الستار.

ومنذ تلك اللحظة سيتحول هذا الفتى الريان المُنعَّم إلى أسطورة عظيمة من أساطير الدعوة والعطاء والفداء!!!.

يُبتلى الرجل على قدر دينه

وكان مصعب رضي الله عنه يكتم إسلامه فى بداية الأمر خوفًا من بطش أمه، فقد كانت تتمتع بقوة عجيبة فى شخصيتها تفوق الكثير من الرجال.

ولكن البلاء سنة ثابتة، فلقد رآه عثمان بن طلحة وهو يدخل إلى دار الأرقم ثم رآه مرة أخرى وهو يصلى، فذهب إلى أم مصعب تسابق أقدامه الريح وأخبرها بإسلام مصعب حتى كاد عقلها أن يطيش لهول المفاجأة التى وقعت عليها.

وهمَّت أمه بإيذائه بالضرب ولكن نور الإيمان الذى كسى وجهه جعلها تتراجع عن ذلك وتكتفى بحبسه فى دارها.

وكان مصعب من أنعم الناس عيشًا قبل إسلامه فلما أسلم زَهِد فى الدنيا وترك زينتها وتفرغ للعبادة وطلب العلم.

ولقد منعته أمه من ثروتها وأبت أن ينال منها درهمًا واحدًا بعدما ترك عبادة الأصنام وسجد للواحد الديان.

يقول على رضي الله عنه: جئت المسجد فطلع علينا مصعبُ بن عمير فى بُردة له مرقوعة بفروة، وكان أنعم غلام بمكة وأرفه، فلما رآه رسول الله ﷺ ذكر ما

كان فيه من النعيم، ورأى حاله التى هو عليها، فذرفت عيناه عليه، ثم قال: «أنتم اليوم خيرٌ أم إذا غُدِّى على أحدكم بجفنة من خبز ولحم؟» فقلنا: نحن يومئذ خير، نُكفَى المؤنة، ونتفرغ للعبادة، فقال: بل أنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذ[1].

* وخرج مصعب من تلك النعمة الوارفة التى كان يعيش فيها مؤثرًا الفقر والجوع مع الإيمان على أن يكون غنيًّا لا يؤمن بالله.

وأصبح الفتى المدلل المُعطَّر لا يراه الناس إلا مرتديًا أخشن الثياب يأكل يومًا ويجوع أيامًا ولكن روحه المتألقة بنور الإيمان والعقيدة قد جعلت منه إنسانًا آخر يملأ القلوب روعة وجلالاً.

سيجعل الله بعد عُسر يسرًا

وظل مصعب ملازمًا للنبى ﷺ ليعيش أسعد لحظات العمر فى رحاب الحبيب المصطفى... وفى تلك الفترة أعلنت قريش عداءها للنبى ﷺ وأصحابه وأذاقتهم من العذاب ألوانًا فما كان من النبى ﷺ إلا أن أشار على أصحابه بالهجرة إلى بلاد الحبشة فإن فيها ملكًا لا يُظلَم عنده أحد.

فهاجر مصعب الهجرة الأولى إلى الحبشة.

ولما سمع هو وأصحابه أن قريشًا أسلمت - وكان الخبر كاذبًا - عاد مصعب إلى مكة ليسعد بصحبة الحبيب ﷺ.

فلما علم أن الخبر كان كاذبًا وأن قريشًا قد ازدادت حقدًا وعداءً للإسلام والمسلمين عاد مصعب إلى الحبشة مرة أخرى فارًا بدينه وإيمانه.

وبعد فترة من الزمن عاد مصعب ليقوم بأعظم مهمة فى الكون كله ألا وهى: أن النبى ﷺ سيرسله إلى المدينة ليكون أول سفير للدعوة إلى الله فى المدينة المنورة.

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٧٨) كتاب صفة القيامة، وقال: حديث حسن غريب.

بيعة العقبة الأولى

قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا فى موسم الحج سنة ١١ من النبوة، وواعدوا رسول الله ﷺ إبلاغ رسالته فى قومهم.

وكان من جراء ذلك أن جاء فى الموسم التالى موسم الحج سنة ١٢ من النبوة، يوليو سنة ٦٢١م اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ فى العام السابق والسادس الذى لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رئاب وسبعة سواهم.

* وتمت بيعة العقبة الأولى... فقد بايعوا رسول الله ﷺ على ترك الشرك وعبادة الأصنام والبعد عن المعاصى وعلى الإيمان والطاعة... ووعدهم النبى ﷺ بالجنة إن عاشوا على الإيمان والطاعة.

* ثم ودعهم النبى ﷺ بعد أن عاهدهم وعاهدوه على اللقاء فى العام التالى.

سفير الدعوة الأول إلى المدينة

وبعدما أتم وفد الأنصار بيعة العقبة الأولى وعادوا إلى المدينة رأى النبى ﷺ أن يبعث معهم رجلاً رحيمًا فقيهًا يعلمهم القرآن والسنة ويفقههم فى الدين... فأرسل معهم مصعب بن عمير الذى ضحى بحياة النعيم والرفاهية ليصبح عبدًا لله (جل وعلا) وداعيةً صادقًا.

وذهب مصعب ونزل على دار (أسعد بن زُرارة) ليكون بيته قاعدة ينطلق منها للدعوة إلى الله جل وعلا.

وكان (أسعد بن زرارة) ابن خالة (سعد بن معاذ).

وكان سعد بن معاذ سيدًا فى قبيلته (بنى عبد الأشهل) فلما سمع بخبر مصعب بن عمير وأنه جاء ليدعو الناس إلى الإسلام غضب غضبًا شديدًا

وأرسل (أُسيد بن حُضير) لينهى مصعب بن عمير عن الدعوة فى المدينة وكان أُسيد بن حُضير سيدًا فى قومه أيضًا.

فأخذ أُسيد بن حُضير حَربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصْدُق الله فيه؛ قال مصعب: إن يجلس أُكلمه. قال: فوقف عليهما متشتمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا تُسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة؛ فقال له مصعب: أوَ تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرنا قَبِلته وإن كرهت كلامنا كففنا عنك ما تكره.

فقال أسيد: لقد أنصفت ثم ركَّز حَربته وجلس يستمع إلى مصعب فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن حتى قال مصعب وأسعد: والله لقد رأينا الإسلام فى وجهه قبل أن يُسلم.

فقال أُسيد بن حُضير: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا له: تغتسل وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهَّد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائى رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، (سعد بن معاذ) ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببتَ، وقد علمت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك... فقام سعد مُغضبًا مبادرًا، تخوفًا للذى ذكر له من بنى حارثة فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أُسيدًا إنما أراد منه أن

يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما طمعت فى هذا أتغشانا فى دارنا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أى مصعب، جاءك والله سيد مَن وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان: فقال له مصعب: أوَ تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قال: فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهُّله؛ ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر وتُطهر ثوبيك ثم تشهَّد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدًا إلى نادى قومه ومعه أُسيد ابن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم.. فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فو الله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.

وهكذا أسلم سعد رضي الله عنه وحمل أمانة هذا الدين على أعناقه وذهب يدعو الناس إلى دين الملك جل وعلا وقلبه يتلهف شوقًا لرؤية الحبيب ﷺ وهكذا تكون ثمرة الدعوة الرحيمة.

وقبل حلول موسم الحج التالى أى: حج السنة الثالثة عشرة عاد مصعب ابن عمير رضي الله عنه إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب، ويبشره بأن جموعًا غفيرة دخلت إلى الإسلام عن اقتناع مسَّ شغافهم، وبصرٍ أنار أفكارهم وسوف يرى من وفودهم بهذا الموسم ما تقر به العين.

صفحات مشرقة من جهاده فى سبيل الله

وشهد مصعب بن عمير بدرًا وقاتل قتالاً شديداً وبعد أن انقضت الغزوة بانتصار المسلمين وأسَر المسلمون عددًا من المشركين كان لمصعب موقفًا عظيمًا فى الولاء والبراء.

* فقد كان أبو عزيز بن عمير (أخو مصعب بن عمير) هو صاحب لواء المشركين فى غزوة بدر بعد النضر بن الحارث فوقع فى الأسر. فقام النبى ﷺ يوصى الصحابة بأسرى المشركين خيرًا وذلك بعد أن فرقهم على أصحابه.

قال أبو عزيز: وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خَصُّونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا... ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها. قال: فأستحى فأردها على أحدهم، فيردها علىَّ ما يمسها.

* فمرَّ أبو اليُسر (الذى أسر أبا عزيز بن عمير) على مصعب بن عُمير فلما رأى مصعب أخاه أبا عزيز مأسورًا فى يد أبى اليُسر قال له: شُدَّ يدك به فإن أمه غنية ذات متاع لعلها تفديه منك.

فقال له أبو عزيز: يا أخى هذه وصاتك بى؟ فقال له مصعب: إنه أخى دونك... فسألت أمه عن أغلى ما فُدى بـه قُرشى، فقيل لها: أربعة آلاف درهم. فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها.

استشهاده فى غزوة أحد

وفى غزوة أُحد قاتل مصعب بن عمير وأبلى بلاءً حسنًا، وكان مصعب حامل اللواء فى يوم أُحد ولما عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ أخذ مصعب يقاتل ويدافع عن رسول الله ﷺ بكل جرأة وشجاعة، فأقبل أحد المشركين واسمه (ابن قمئة) فضرب مصعب على يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (١). ثم أخذ مصعب اللواء بيده اليسرى فضربه ابن قمئة فقطعها فأخذ مصعب اللواء وضمَّه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. فضربه ابن قمئة بالرمح فقتله.

فلما قُتل مصعب ظن ابن قمئة أنه قتل رسول الله فرجع إلى قريش فقال: قتلتُ محمدًا... فلما قُتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء لعلى بن أبى طالب، ورجالاً من المسلمين.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من أُحد مرَّ على مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه فقرأ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٢).

ادخار الأجر لمصعب يوم القيامة

وبعد أن سألت دماء بطلنا على أرض الشرف والجهاد وقام الحبيب ﷺ يتفقد القتلى، فلما أشرف عليهم قال ﷺ: «أنا شهيدٌ على هؤلاء إنه ما من جريح يُجرَح فى سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يُدْمَى جُرحه، اللون لون دم، والريح ريح مسك»، «وانظروا أكثر هؤلاء جمعًا للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر»، وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد (٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٣١) ورجاله رجال الصحيح.

وعند جثمان مصعب سالت دموعه ﷺ .

قال خبَّاب بن الأرت: هاجرنا مع النبى ﷺ نريد وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئًا . . . منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أُحد وترك نَمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطى رأسه ونجعل على رجليه شيئًا من إذخر، . . . ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها[١] .

وظل أصحاب الحبيب ﷺ يذكرون مصعبًا فى كل وقت ولم يغب وجهه عنهم لحظة واحدة.

فهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتى بطعام وكان صائمًا فقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خير منى كُفِّن فى بُردَهَ إن غُطى رأسه بدت رجلاه، وإن غُطى رجلاه بدا رأسه، وقُتل حمزة وهو خير منى ثم بسط لنا من الدنيا ما بُسط أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام[٢] .

ولا أملك عند وداع هذا البطل إلا أن أقول: رضى الله عن مصعب وأرضاه وجمعنا وإياه فى الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٩٧) كتاب المناقب، ومسلم (٩٤٠) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٢٧٥) كتاب الجنائز.

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

حذيفة بن اليمان ﷺ

حبايبى الحلوين: وها نحن على موعدٍ مع هذا الصحابى الجليل الذى ملأ الدنيا زهدًا وورعًا وصدقًا ووفاءً وطاعة وجهادًا.

نحن اليوم على موعد مع صاحب سر رسول الله ﷺ... مع أعلم الناس بالفتن إلى يوم القيامة بعد رسول الله ﷺ... مع الرجل الذى كان سببًا فى جمع الناس على مصحف واحد،... بل إننا على موعد مع الرجل الذى أخبره الحبيب ﷺ بأنه سيكون رفيقًا له فى الجنة.

إننا على موعد مع حذيفة بن اليمان ﷺ.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة هذا الصحابى الجليل.

من هنا نبدأ

تبدأ قصة حذيفة من والده (حُسيل بن جابر) الذى كان يعيش فى مكة فى قبيلة تُسمى (بنى عبس) وكان يعيش حياة هادئة مطمئنة إلا أن الحياة فى أرض الجزيرة أيام الجاهلية قبل بعثة النبى ﷺ كانت غير آمنة.... فقد تقوم الحروب لأسباب تافهة وقد يفقد الرجل حياته لأهون الأسباب.

ففى يوم من الأيام حدث خلاف بين حُسيل والد حذيفة وبين رجل من بنى عبس فقتله حُسيل وهرب من مكة إلى المدينة خوفًا من أن يقتلوه.

ولكى يصبح آمنًا فلا بد أن يحالف أحدًا من أهل المدينة ليحميه فحالف قبيلة تُسمى (بنى عبد الأشهل) وعاش معهم ومن هنا سمَّاه قومه «اليمان» وذلك لحلفه لليمانية وهم الأنصار.

ميلاد حذيفة

وبعد فترة من الزمن أحسَّ حُسيل (اليمان) بأنه بحاجة إلى الزواج فتزوج امرأة تُسمى (الرباب بنت كعب الأشهلية) فولدت له حذيفة وغيره من الذكور والإناث.

وكان (اليمان) يشعر بأن ابنه حذيفة يمتلك ذكاءً يندر وجوده فأحبه حبًا جمًا وكان يلازمه فى كل مكان أكثر من إخوته.

قصة إسلامه

وكان اليمان يشتاق بين الحين والحين أن يذهب إلى مكة ليطوف بالكعبة وفى يوم من الأيام سمع اليمان بمبعث نبى آخر الزمان فسأل عنه فإذا هو الصادق الأمين الذى كان يعرفه الناس جميعًا بصدقه وأمانته فلم يتردد اليمان لحظة واحدة بل أسلم بقلبه وجوارحه لله جل وعلا وعاد من مكة إلى المدينة ليحمل هذا النور إلى أسرته فأسلمت أسرته كلها وأسلم حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه.

وكان أبوه (اليمان) يحدثه كثيرًا عن رسول الله فاشتاق حذيفة لرؤية رسول الله ﷺ.

هكذا نشأ حذيفة فى بيت مسلم، ثم رحل بصحبة والده إلى مكة المكرمة، وهنالك التقت يمين رسول الله ﷺ بيمين حذيفة، حيث أعلن إسلامه، وسرت فى نفسه موجة من الحب والإكبار لرسول الله ﷺ الذى خيَّره بين الهجرة والنُّصرة - أى: خيَّره بين أن يكون من المهاجرين أو الأنصار -، فاختار حذيفة النصرة، وعاد إلى المدينة المنورة[1].

ولذلك قال له الحبيب ﷺ: «إن شئت كنت من المهاجرين وإن شئت كنت

(١) فرسان من عصر النبوة/ أحمد خليل جمعة (ص: ٤٠).

من الأنصار فاختر أحب الأمرين إلى نفسك» فقال حذيفة ﷺ بل أنا أنصارى يا رسول الله ﷺ.

ولما أذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة فرح حذيفة فرحًا شديدًا ولازم النبى ﷺ ملازمة الحبيب لحبيبه لينهل من هذا النبع الصافى ويأخذ من هديه وسمته وأخلاقه.

ولقد أحبه النبى ﷺ حبًا جمًا وكان النبى ﷺ بنظرة واحدة إلى أى رجل يعلم صفاته وإمكاناته ومزاياه من أول وهلة فأحس النبى ﷺ أن حذيفة يملك ذكاءً يندر وجوده وسرعة بديهة تجعله يعالج أعتى المواقف والأزمات بيسر وسهولة وهو فى الوقت ذاته يؤتمن على أخطر الأسرار ولا يذيعها أبدًا.

وكان الحبيب ﷺ يضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ويستخدم طاقات أصحابه فيما يخدم الدين على أعلى مستوى.

صاحب سر رسول الله ﷺ

وكانت من أكبر المشاكل التى تواجه المسلمين فى المدينة هى وجود المنافقين [1] الذين كانوا يدبرون المكائد والمؤامرات لرسول الله ﷺ وأصحابه.

فأنزل الله جبريل عليه السلام بأسماء المنافقين ليخبر النبى ﷺ بأسمائهم فيعرفهم ويحذر منهم.... فما كان من النبى ﷺ إلا أن أخبر حذيفة بن اليمان بأسماء المنافقين وجعل ذلك سرًا بينه وبين حذيفة ولم يخبر أحدًا من أصحابه بذلك.

وطلب النبى ﷺ من حذيفة أن يرصد حركات المنافقين وأن يتتبع نشاطهم ليدفع خطرهم عن الإسلام والمسلمين.

---

(١) المنافق هو من ستر الكفر بقلبه وأظهر الإيمان بلسانه.

ومنذ ذلك اليوم دُعي حذيفة بن اليمان بصاحب سرّ رسول الله ﷺ وقد ناشده عمر عندما علم أن النبي ﷺ أسرّ إليه بأسماء المنافقين فقال: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أُزكي أحدًا بعدك[1].

وظل حذيفة بن اليمان مؤتمنًا على أسرار المنافقين ما امتدت به الحياة، وظل الخلفاء يرجعون إليه في أمرهم حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا مات أحد المسلمين يسأل: أحَضَرَ حذيفة للصلاة عليه؟ فإن قالوا: نعم صلَّى عليه، وإن قالوا: لا، شك فيه، وأمسك عن الصلاة عليه.

وقد سأله ذات مرة: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال: واحد، فقال: دُلَّني عليه، فقال: لا أفعل، قال حذيفة: لكن عمر ما لبث أن عزله كأنما هُدي إليه... فلقد كان عمر يملك فراسة وشفافية يندر وجودها.

أعلم الناس بالفتن إلى قيام الساعة

ولقد كان حذيفة يرى أن أصحاب الرسول ﷺ كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير فكان هو يسأل رسول الله ﷺ عن الشر حتى يحذر منه ولا يقع فيه.

فها هو يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني.

* وكان حذيفة يعكف على دراسة الشر والأشرار والنفاق والمنافقين لكي يحذر منهم ويُحذر الأمة من شرورهم.

وكان يسأل الرسول ﷺ دائمًا عن الفتن خوفًا من الوقوع فيها.

ولذا كان يقول: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة.

---

(١) نسبه في الكنز (١٣/ ٣٤٤) إلى رستة - نقلاً من السير (٢/ ٣٦٤) للذهبي.

ولذلك لا تكاد ترى حديثًا للنبى ﷺ يتحدث فيه عن علامات الساعة أو عن فتن آخر الزمان إلا وتجد أن حذيفة قد روى شيئًا منها.

عبادته وخشيته لله (جل وعلا)

ولقد كان حذيفة زاهدًا عابدًا لا يفتر أبدًا عن الصيام والقيام والذكر وتلاوة القرآن.

ولقد كان حذيفة ﷺ يخشى ربه فى السر والعلانية، وكان لا يحب أن يطَّلع أحد على عمله وكان يحب العزلة خوفًا على نفسه وعلى دينه من الفتن التى هو أعلم الناس بها بعد النبى ﷺ.

قال حذيفة ﷺ: والله لوددت أن لى إنسانًا يكون فى مالى ثم أُغلق علىَّ بابًا فلا يدخل علىَّ أحد حتى ألحق بالله عز وجل.

* وكان يخشى على نفسه من الشهرة والرياء.

ففى يوم من الأيام كان حذيفة يصلى ويبكى فلما فرغ من صلاته التفت فوجد رجلاً جالسًا خلفه فقال له: لا تخبرنَّ بهذا أحدًا.

ما السبب فى تغيبه عن غزوة بدر

ولعل السؤال الذى يخطر على البال فى تلك اللحظة: ما السبب الذى جعل حذيفة ﷺ يتغيب عن غزوة بدر؟.

ويتولى حذيفه بنفسه الجواب على هذا السؤال فيقول: ما منعنى أن أشهد بدرًا إلا أنى خرجت أنا وأبى، فأخذنا كفار قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمدًا! فقلنا: ما نريد إلا المدينة؛ فأخذوا العهد علينا: لتنصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأخبرنا النبى ﷺ فقال: «نفى بعهدهم، ونستعين الله عليهم»[1].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٧٨) كتاب الجهاد.

موقف يوم أحد زاده عند رسول الله ﷺ خيرًا

ولما جاء يوم أُحد وخاض المسلمون تلك الغزوة أمام مشركى قريش، وكان فى جند المسلمين (حذيفة) مع أبيه اليمان فأما حذيفة فقاتل قتال مَن يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها، وأما أبوه فقد استُشهد يومئذ، قتله بعض الصحابة غلطًا، ولم يعرفه؛ لأن الجيش يختفون فى لأمة الحرب، ويسترون وجوههم، فإن لم يكن لهم علامة بيِّنة، وإلا ربما قتل الأخُ أخاه، ولا يشعر.

أما عن قصة قتله فإنه لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أُحد رُفع اليمان وثابت بن وقش إلى مكان مرتفع لأنهما شيخان كبيران لا طاقة لهما بالجهاد فلما بدأ القتال قال أحدهما لصاحبه: ماذا تنتظر؟ فو الله ما بقى لنا من العمر إلا القليل فهيا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا، حتى دخلا فى الناس، ولم يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حُسيل بن جابر، فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة: أبى، فقالوا: والله ما عرفناه - وصدقوا - قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فأراد رسول الله ﷺ أن يعطيه الدية فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرًا [(١)].

يوم الخندق ومرافقة النبى ﷺ فى الجنة

ولقد حدث لحذيفة موقف عجيب يوم الخندق كان سببًا لأن يكون مرافقًا للنبى ﷺ فى الجنة.

فنحن نعلم أن كتائب الشرك اجتمعوا فى عشرة آلاف مشرك حول المدينة يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين ولكنهم وجدوا أن النبى ﷺ

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥ - ٤) كتاب المغازى.

وأصحابه قد حفروا خندقًا حول المدينة فوقفوا مبهوتين لا يدرون ماذا يصنعون.

وهنا أراد النبى ﷺ أن يرسل رجلاً من أصحابه ليعلم ماذا يصنع المشركون وبخاصة بعد أن اشتد البرد والريح فلم يكن هناك رجل واحد يستطيع أن يتحرك من شدة الخوف والبرد والجوع.

وإذا بالنبى ﷺ ينظر إلى أصحابه ويقول: «مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع. أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة؟» فما قام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعانى رسول الله فلم يكن لى بُدّ من القيام حين دعانى فقال: «يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحدثَنّ شيئًا حتى تأتينا» قال: فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش.

إنى أخشى أن يكون بيننا رجل من المسلمين فليسأل كل واحدٍ منكم مَن بجواره عن اسمه فما كان من حذيفة إلا أن أخذ بيد الرجل الذى كان بجواره وسأله: من أنت فقال: فلان بن فلان. فقال حذيفة: صدقت.

وبذلك نجا حذيفة من أن يعرف المشركون بوجوده بينهم فيقتلوه.

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم فى أمان فلقد هلك الخيل والإبل من شدة البرد والريح فارتحلوا فإنى مرتحل ثم قام إلى جَمَله فجلس عليه ثم ضربه فوثب لينطلق عائداً إلى مكة وهنا أراد حذيفة أن يضربه بسهمٍ لكنه تذكر أن النبى ﷺ قال له: «لا تحدثن شيئًا حتى تأتينى».

ثم عاد حذيفة إلى النبى ﷺ ليخبره بما حدث فوجده قائمًا يصلى فلما فرغ النبى ﷺ من صلاته أخبره حذيفة بما حدث ففرح النبى ﷺ بذلك أشد الفرح ودعا لحذيفة بكل خير[1].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٨) كتاب الجهاد والسير.

وبهذا الموقف الذى وقفه حذيفة واستجابته لأمر رسول الله ﷺ أصبح واحدًا ممن فازوا برفقة الحبيب فى الجنة، ويالها من بشرى لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من زينة ومتاعٍ زائل.

وتمر الأيام الجميلة مسرعة إلى أن جاء اليوم الذى أظلمت فيه الدنيا كلها بموت النبى ﷺ فحزن حذيفة عليه حزنًا كاد أن يمزق قلبه.

ولايته على المدائن

وبعد أن انتقل الحبيب ﷺ إلى جوار ربه ظل حذيفة على عهده عابدًا صائمًا قائمًا مجاهدًا فى سبيل الله جل وعلا.

ولما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة كان يختار الولاة اختيارًا دقيقًا وكان لا يجامل أحدًا أبدًا، وأراد عمر أن يختار واليًا على المدائن التى كان يعيش فيها ملوك الفرس... فكان عمر يريد واليًا زاهدًا حتى لا يتطلع إلى ثروات تلك المدينة... فوقع اختياره على حذيفة بن اليمان فأرسله إلى أهل المدائن ليكون واليًا عليهم وكتب إليهم: إنى قد بعثت إليكم حذيفة بن اليمان أميرًا عليكم فاسمعوا له وأطيعوا... وخرج أهل المدائن لاستقبال هذا الأمير الجديد فإذا بهم يرون رجلاً يركب حمارًا وفى يده رغيف به قطعة لحم فلم يلتفتوا إليه فلقيهم الناس فقالوا: أين الأمير؟

قالوا: هو الذى مَرَّ الآن وهو يركب حماره فركضوا خلفه حتى أدركوه وقالوا له: مرحبًا بك أيها الأمير بماذا تأمرنا؟

فقال: لا أسألكم إلا طعامًا آكله وعلفًا لحمارى هذا ما دُمت فيكم.

وذهب حذيفة إلى دارٍ متواضعة ليس فيها شىء من متاع الدنيا وأقام فى المدينة ما شاء الله ثم كتب له عمر يطلب منه أن يرجع إليه فى المدينة.

فلما عاد حذيفة اختبأ له عمر حتى يرى هل تغير حاله بعد الإمارة

وأصبح ثريًّا أم أنه ما زال على حاله ولم يطمع فى شىء من متاع الدنيا الزائل فإذا به يراه راكبًا على حماره كما هو ليس معه شىء من متاع الدنيا فبكى عمر واحتضنه وقال له: أنت أخى وأنا أخوك.

صور مشرقة من جهاده فى الفتوحات الإسلامية

ولعل قليلاً من الناس من يعلم أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان من أصحاب السبق العظيم فى فتوحات العراق كلها.

ففى همدان والرى والدينور تم الفتح على يديه.

وفى معركة نهاوند كانت المعركة الكبرى حيث احتشد الفُرس فى مائة ألف مقاتل وخمسين ألفًا والمسلمون فى ثلاثين ألفًا يقودهم الإيمان بالله والعقيدة الراسخة التى سكبها الحبيب صلى الله عليه وسلم فى قلوب أصحابه حتى كان الواحد منهم يقابل جيشًا بأكمله فلا يخاف ولا يخشى إلا الله وحده.

فشارك حذيفة فى تلك المعركة الكبيرة وأخذ الراية بعد مقتل النعمان بن مُقرِّن.

وهكذا انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للفرس على أيدى الموحدين الذين امتلأت قلوبهم حبًا لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ولنصرة دين الله.

حكمة وخبرة نادرة

إن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان عبقريًّا فى حكمته حين تضمه صومعته وعبقريًّا فى فدائيته حين يقف على أرض القتال وهو كذلك العبقرى فى كل مهمة تُوكل إليه، ومشورة تُطلب منه... فحين انتقل سعد بن أبى وقاص والمسلمون معه من المدائن إلى الكوفة، واستوطنوها وذلك بعد أن أنزل مناخ المدائن بالعرب المسلمين أذى بليغًا مما جعل عمر يكتب لسعد كى يغادرها

فوراً بعد أن يبحث عن أكثر البقاع ملاءمة، فينتقل بالمسلمين إليها... يومئذ، من الذى وُكِّل إليه أمر اختيار البقعة والمكان؟

إنه حذيفة بن اليمان... ذهب ومعه سلمان بن زياد يرتادان للمسلمين المكان الملائم.

فلما بلغا أرض الكوفة، وكانت حصباء جرداء مرملة، شَمَّ حذيفة عليها أنسام العافية، فقال لصاحبه: هنا المنزل إن شاء الله.

وهكذا خُططت الكوفة وأحالتها يدُ التعمير إلى مدينة عامرة وما كاد المسلمون ينتقلون إليها، حتى شُفى سقيمهم، وقَوى ضعيفهم، ونبضت بالعافية عروقهم!! بإذن الله.

لقد كان حذيفة واسع الذكاء متنوع الخبرة، وكان يقول للمسلمين دائمًا: (ليس خياركم الذين يتركون الدنيا للآخرة، ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا ولكن الذين يأخذون من هذه ومن هذه)[١].

كان سببًا فى جمع المسلمين على مصحف واحد

وظل حذيفة رضي الله عنه شديد الاهتمام بالقرآن الكريم حتى إنه كان السبب فى جمع المسلمين على مصحف واحد، عندما لاحظ أن الاختلاف والفرقة قد بدأت تدب بين صفوف المسلمين، حينما كان يغزو مع أهل العراق فى أرمينية وأذربيجان وذلك فى خلافة عثمان رضي الله عنه فسارع حتى قَدِم المدينة، وعرض على عثمان وجهة نظره، فسارع عثمان إلى ذلك، وجَمَعَ الصحابة، فاستقر رأيهم على كتابة القرآن الكريم، ثم أرسل منه نُسخًا إلى الأمصار وبذلك جمع الناس على مصحف واحد.

وبهذا التصرف المحمود قطع عثمان دابر الفتنة، وحسم مادة الخلاف

(١) رجال حول الرسول ﷺ / أ. خالد محمد خالد (ص: ٢٥٥).

والاختلاف، وحصَّن القرآن الكريم من أن يتطرق إليه شيء من التحريف، أو الاختلاف على مَرِّ العصور، وتعاقب الأزمان[١].

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة مليئة بالزهد والكفاح والبذل والتضحية نام رفيق النبى ﷺ فى الجنة على فراش الموت لتفيض روحه الطاهرة إلى ربها عز وجل الذى كتب الموت على الخلائق وهو الحى الذى لا يموت.

وكان حذيفة قبل موته يقول: اللهم إنك تعلم أنى كنت أحب الفقر على الغنى وأحب الذلة على العز وأحب الموت على الحياة، . . . حبيبٌ جاء على فاقة لا أفلح مَن نَدِم.

وفى يوم موته قال عند السَّحَر: أعوذ بالله من صباحٍ إلى النار ثم أمر أهله أن يشتروا له ثوبين ليكونا له كفنًا فلما رآهم قد جاءوا بثياب غالية أمرهم أن يأتوه بأكفانٍ رخيصة وقال: إنهما لن يُتركا علىَّ إلا قليلاً فلو أراد الله بى خيرًا أبدلنى خيرًا منهما.

ونزلت كوكبة من الملائكة الكرام، وقبضوا روح حذيفة رضي الله عنه وصعدوا بها إلى بارئها راضية مرضية، لتستقر فى عِليين، وانتهت بوفاته حياة حافلة بالهجرة والجهاد والفروسية والفتوحات والعلم والزهد والحكمة والفضل وبحسب حذيفة أن يُقرن اسمه باسم رسول الله ﷺ فيقال: صاحب سر رسول الله ﷺ.

توفى حذيفة سنة ست وثلاثين من الهجرة بعد عثمان بأربعين يومًا[٢].

رضى الله عن حذيفة وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

❊ ❊ ❊

---

(١) فرسان من عصر النبوة (ص: ٤٨: ٤٩).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٦٢).

بلال بن رباح رضي الله عنه